بقلم:
س. ف. نايدل

التركيب السكاني في اريتريا
العناصر والقبائل

دار المسيرة - بيروت

التركيب السكاني في أريتريا
"العناصر والقبائل"

التركيب السكاني في أريتريا

"العناصر والقبائل"

بقلم:
س. ف. نايدل

نقله إلى العربية
جوزيف صفير

الإدارة العسكرية البريطانية
أريتريا
أسمرة في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤



ililom@yahoo.com

الطبعة الأولى بالعربية
بيروت - في ١٩٧٧/٤/١

بسم الله الرحمن الرحيم

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم
إن الله عليم خبير."

(قرآن كريم)

مقدمة

نقدم هذا الكتاب الذي تمت ترجمته عن الانجليزية إلى قراء العربية في سياق محاولاتنا للتعريف بهذا القطر المناضل ـ ارتريا ـ والذي أوقعته المؤامرات الاستعمارية فريسة احتلال جديد تحت ستار الاتحاد الفدرالي مع الامبراطورية الأثيوبية وهو بعد لم يخلص من نير الاستعمار البريطاني الذي حل محل الاستعمار الايطالي إثر هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية .

والكتاب يعالج القضايا السكانية ويحتوي في مجاله على معلومات مفيدة ولكنها لا تخلو من أخطاء بعضها متعمد املته النظرة السياسية البريطانية للمشكلة الأرترية آنذاك والرامية إلى تقسيم أرتريا بين أثيوبيا والسودان . ومع أننا نتفق مع الكاتب من ان أرتريا وبحكم موقعها الجغرافي كانت مسرحاً دائماً لموجات متتالية من الهجرات البشرية ـ سامية ، حامية ، زنجية ، حتى يمكن أن يقال إن السكان هم مزيج من هذه التزاوجات التاريخية تطغى على ثقافتهم وملامحهم السمات السامية العربية ، إلا أن الانصهار على مدى التاريخ والترابط في إطار المصالح الاقتصادية المتشابكة جعل منهم كلا لا يتجزأ .

وهذه السمة ـ سمة التعدد ـ لا تنفرد بها أرتريا وحدها ، فنادراً ما يوجد في العالم قطر يتكون سكانه من سلالة عنصرية واحدة أو من تجمع ثقافي ولغوي واحد . فالتجانس في إطار التعدد سمة مألوفة في كل أقطار الدنيا .

ملاحظة أخرى مهمة هي أن الأرقام الواردة هنا سواء عن عدد السكان أو الموارد الطبيعية تستند إلى تقديرات إيطالية قديمة مضى عليها أكثر من نصف قرن وكانت تقدر عدد سكان أرتريا بـ ٨٠٠ ألف بينما يزيد عددهم الآن عن ثلاثة ملايين .

يستعمل المؤلف كلمة « رقيق » مرادفة لكلمة (تجري) وهي ترجمة غير صحيحة . فالتجري كانت تعني الرعية أو المحكومين بالنسبة لطبقة الشماقلي أو النبلاء المالكين في مناطق الساحل وبركة .

وبالاجمال فإن محتويات الكتاب تمثل وجهة نظر مؤلفه وليست بالضرورة تتطابق مع الواقع الموضوعي كما يعرفه الأرتريون أنفسهم . ومع ذلك فاننا نأمل بتقديمنا هذا الكتاب لقراء العربية أن نكون قد أضفنا معرفة بأحوال أرتريا وسكانها . والله الموفق .

عثمان صالح سبى

الناطق الرسمي باسم قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الأرترية .

١ ـ مقدمة

آ ـ طبيعة البلاد وإدارتها

تحتل مستعمرة اريتريا الايطالية مساحة من الأرض تبلغ ٤٠٠٠٠ ميلا مربعاً ، ويعيش فيها حوالي ٨٠٠ ألف نسمة . على الخريطة تظهر اريتريا على شكل مثلث غير متناسق الاضلاع ، تمتد قاعدته من الشرق الى الغرب ، ويتجه رأسه الى الشمال وضمن هذا الاطار المثلث الشكل يمكن تقسيم اريتريا الى ثلاثة وربما أربعة أقسام طبيعية : القسم الهضبي في الوسط ، يستند الى قاعدة المثلث وينبسط شمالاً باتجاه رأسه . وفي الجنوب يتخذ السطح شكل مرتفعات هضبية تصل الى ٧٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ قدم ، تنخفض تدريجيا باتجاه الشمال والبحر ، وتتخذ شكل تلال وهضاب أقل ارتفاعاً ، تتراوح بين ٤٥٠٠ و ٥٠٠٠ قدم . أما في الغرب ، فيمتد سهل فسيح قاحل تجتازه مجارٍ جافة لأنهر : بركه والغاش وستيت . وفي الشرق يبدو الجبل كالجدار عند السهل الضيّق المنحشر بين البحر والمنحدرات الجبليّة الوعرة .

في الصفحات التالية ، وتبسيطاً للأمور سنطلق على هذه المناطق الجغرافية أسماء : السهل الشرقي ، السهل الغربي ، الهضبة الوسطى ، التلال الشمالية .

هذا التباين في التضاريس ينعكس على الظروف المناخية . فالهضبة باردة ، جافة ومعرّضة للرياح . بينما التلال الشمالية تبدو أكثر اعتدالاً في المناخ حيث ترتفع الحرارة وتزداد نسبة الرطوبة . أما في السهلين الشرقي والغربي

فنجد المناخ شبه الصحراوي الذي يسود شرقي افريقيا ومناطق واسعة من السودان ، ومع ذلك تهطل الأمطار في السهلين . ففي السهل الغربي ـ كما في شمالي البلاد وجنوبها ـ الموسم المطير هو فصل الصيف الممتد من نيسان (ابريل) الى ايلول (سبتمبر) ، ولكن كمية المطر قليلة نسبياً حيث يبلغ معدل الامطار على الهضبة والتلال الشمالية حوالي ٢٠ بوصة . بينما هو ١٢ بوصة فقط في السهل الغربي . أما في السهل الساحلي الشرقي فالموسم المطير هو فصل الشتاء الممتد من تشرين الثاني (نوفمبر) الى شباط (فبراير) ، ولكن معدل الامطار منخفض يتراوح بين ٦ و ٧ بوصات فقط ، فيما يرتفع هذا المعدل عند السفوح الجبلية وعلى المنحدر الوعر الى ٣٢ بوصة وسنرى فيما بعد الى اي مدى تؤثر هذه الاحوال المناخية على عادات السكان ونشاطاتهم الاقتصادية ، وخاصة على حركة نزوحهم الموسمية المرتبطة بفصول الأمطار والرعي .

يلتقي تنظيم اريتريا الاداري ، الى حد بعيد ، مع تقسيمها الجغرافي ، فالمناطق الجغرافية الواسعة ، أصبحت مع تغييرات طفيفة ، وحدات ادارية ، عرفت في ظل الحكم الايطالي باسم مفوضيات (كوميسارياتي) . فالسهل الغربي يشكل مديرية آغوردات . والتلال الشمالية مضافاً اليها السهل الضيق في الشمال الشرقي على البحر تشكل مديرية كرن . أما السهل الشرقي الساحلي فقد توزعته أربع مديريات : القسم الشمالي أُلحق بمديرية كرن والى الجنوب منه تقوم مديرية مصوّع ، وعند خليج زولا ، يُشكّل الممر الأرضي الضيق جزءاً من مديرية أكلي ـ غوزاي في الهضبة الوسطى ، وهو بذلك يفصل مديرية مصوّع الى نصفين . وأما القسم الجنوبي من السهل الساحلي فيشكل مديرية عصب . وقسّمت الهضبة الوسطى الى ثلاث مديريات هي : حماسين ـ

سراي ــ أكلي غوزاي .

قسّم الايطاليون كلا من هذه المديريات المسماة مفوضيات الى عدد من النواحي التي سموها « رزيدانتسه » أو مقاميات ، وقسموا الناحية او المقامية الى عدد من النيابات . ولكن ، نادراً ما عكست هذه التقسيمات أسساً جغرافية او عرقية . ففي معظم الأحيان ، كانت المتطلبات الادارية هي التي تحدد التقسيمات الادارية ، ولذلك يمكننا عدم التوقف عند هذه التقسيمات في الوقت الحاضر .

تكوين البلاد الجغرافي وتضاريسها ينعكس أكثر من أي شيء آخر على ظروفها السكانية . فالهضبة الوسطى الخصبة نسبياً وذات الطبيعة المتجانسة ، تسكنها مجموعة متماسكة من المزارعين المستقرين الذين يتكلمون لغة واحدة هي التجرينية ، ويعتنقون ، الى حد بعيد ، ديانة واحدة هي المسيحية القبطية ، كما تميزهم ملامح حضارية واحدة . أما في السهلين الشرقي والغربي حيث الجفاف النسبي ، فنجد عدداً كبيراً من القبائل المتناثرة ، والمختلفة الاحجام والاصول ، لا يجمع بينها سوى حياة البداوة والرعي والدين الاسلامي . وفي أحيان كثيرة ، كانت القبيلة الواحدة تتوزع بين السهلين وفي التلال الشمالية التي تشكّل معبراً نحو المرتفعات الجبلية . وهنا تجدر الاشارة الى أنه يمكن ، في الواقع ، اعتبار هذه التلال الشمالية جسراً عرقياً عبرته ، خلال العصور والأجيال ، قبائل وعناصر متعددة من سكان اريتريا ، في تنقلاتها وهجراتها ونزوحها من سهل الى سهل ، من الشرق الى الغرب تارة ، ومن الغرب الى الشرق تارة أخرى . أما اليوم ، فان التلال الشمالية قد تحوّلت من جسر الى عائق عرقي وحاجز . فقبائل التلال لم تعد تقصد السهل الشرقي إلاّ موسمياً . ونادراً ما تصل الى السهل الغربي البعيد نسبياً ،

لتعود فور ملاءمة الظروف الطبيعية الى معاقلها الجبلية . وفي المقابل قبائل السهل الغربي نادراً ما تتخطى في نزوحها الموسمي المنحدرات الوعرة .

وكان لا بد أن يكون لهذا الفاصل أو الحاجز الطبيعي بين التجمعات الحضرية والقبائل البدوية ، انعكاساته على التنظيم السياسي والاداري للمستعمرة الاريترية . فنتيجة لهذه الفوارق في طرق العيش بين التجمعات السكانية ، نشأ نوع من الازدواجية الادارية . ففي الهضبة الوسطى قامت الادارة على أسس اقليمية سميت وحداتها أقاليم . بينما في الشرق والغرب والشمال فقد قام النظام الاداري على أسس قبلية ، واعتمد على المعطيات القبلية او العائلية كأسس انتظم عليها (راجع الخريطة رقم ١) .

ومع ذلك ، تبقى هذه الفوارق الحياتية والتنظيمية غير واضحة المعالم والحدود ، يعكرها دورياً النزوح الموسمي للقبائل بين السهول والمرتفعات . وقد أصبحت منحدرات الهضبة الوسطى الوعرة ، الى حد بعيد ، مكان إقامة شبه دائم ، لبعض التجمعات القبلية . بينما تحولت تجمعات أخرى الى الحياة الحضرية وتعاطت الزراعة ، واستقرت فوق الهضبة . وهكذا أصبحت المناطق القبلية والاقاليم الحضرية تتداخل بين بعضها البعض عند حافة الهضبة الوسطى . وقد حدث أن أعادت التجمعات القبلية ، في عدد قليل من الحالات ، لجمعها على أساس وحدات اقليمية . لكنه حدث كذلك ، في أكثر الحالات ، أن أصبحت هذه الفروع ــ لقبائل سبق لها ان مارست حياة البداوة ــ تعيش كمستأجرين لدى مالكي الأرض على المرتفعات وضيوفا في أرضهم .

ب ـ العناصر البشرية في إريتريا

ان تبسيط الصورة ، عن التجمعات العنصرية ، على ضوء ما سبق عرضه ، قد يؤدي الى شيء من التضليل . فالمناطق التي قد تبدو متناسقة على خريطة للتوزيع الديني او للانتاج الاقتصادي (راجع الخريطتين رقم ٢ و ٣) ، تضم ، في الواقع ، تركيبا عنصريا معقداً . ذلك ان إريتريا ، كانت طوال أجيال ، مسرحاً دائما لموجات متتالية من الهجرات البشرية ، بعضها كان عابراً فقط ، وبعضها الآخر استقر في البلاد واستوطن . وأما النتيجة فكانت ان السكان القليلي العدد نسبياً ، يشكلون مزيجاً معقداً من العناصر والقبائل واللغات واللهجات . وقبل الغوص في تفاصيل هذه الفسيفساء (الموزاييك) ، ربما كان من المفيد استعراض العناصر الرئيسية التي تتكون منها المجموعات العرقية . فأول مسألة تطرح نفسها هنا بالحاح هي العنصر .

ان مفهوم العنصر ـ المبهم والذي يساء استعماله في أغلب الاحيان ـ يشكل مرشداً غير موثوق لتفهم التجمعات العرقية . ولذلك سنكتفي هنا بايراد ما يمكن سرده دون التعمق (الشيء الصعب المنال في هذا المجال) في تفاصيل علم « الانتربولوجيا » (الاصول البشرية الطبيعية) . ففي شرق البلاد وغربها نلتقي بممثلين عن عناصر تعرف بالحامية ، وأرى أنه من الاصح القول عنها انها عناصر تتكلم لغات من النوع الحامي . هذه العناصر

تتألف في الغرب من بني عامر الذين يتكلمون لغة البجة ، وفي الشرق من قبائل الدناكل ، والى حد ما تلك القبائل التي تستخدم لغة الساهو .

ونجد في اريتريا تجمع عنصري آخر ، تشكله المجموعات التي تتكلم اللغات السامية ، وأبرز عناصرها التجمع الذي يتكلم اللغة التيجرينية ، والقبائل التي تستخدم اللغة التيجرة (التجري) وتجمع المهاجرين ، قديماً وحديثا ، من بلاد العرب . وهناك تجمع عنصري ثالث يتمثل بقبائل زنجية الاصل الباريا والكوناما وبفرع او فرعين قبليين في السهل الغربي . ولكن ، لا التجمع السامي ، ولا التجمع الحامي يشكل عناصر صافية العرق ، اذ أن هذه التجمعات قد تطعمت ، على مر الأجيال ، من دم بعضها البعض وامتزجت بالتجمع الزنجي ، الى جانب مصادر أخرى يصعب تحديدها . وهكذا يتضح أن كلمة عنصر ، لم يعد لها معنى كبير الأهمية .

ج ـ اللغات

في مجال استعراض التجمعات البشرية العنصرية ، سبق لنا الاشارة الى الرباط اللغوي ، وسنحاول هنا ، اعتماد هذا الرباط من جديد ، وبتفصيل أكثر ، كمرشد لدراسة التوزيع العرقي العنصري للسكان . أما أهم المجموعات اللغوية في اريتريا فهي : البجة ، والتجري ، والتجرينية ، والساهو ، والدناكلة . وهناك لغات يقتصر استخدامها على تجمعات سكانية أقل أهمية عددية وأهمها : البلين ، والباريا ، والكوناما ، وايليت ، والعربية .

من المعروف ان لغتي البجة والتجري تستخدمان أيضاً في شمال شرقي السودان ، وان لغات التجرينية والساهو والدناكلة تستخدم كذلك داخل اثيوبيا . أما اللغات الاخرى ، باستثناء العربية ، فان استخدامها يقتصر على اريتريا .

تبين الخريطة رقم (٤) مناطق انتشار هذه اللغات في اريتريا والمناطق المجاورة لها من اثيوبيا والسودان . وبالرغم من ان المعلومات المتوافرة قليلة وأحياناً متناقضة ، حول أصول هذه اللغات وبنيتها ، يمكن اعطاء المعلومات العامة التالية عنها :

لغة البجة ، المعروفة كذلك « تو بداوي » ، هي من النوع الحامي ـ الشمالي ، وليس لها أية روابط مع أي من اللغات الأخرى المستخدمة في

اريتريا . تستخدم لغة البجة قبيلة بني عامر التي هي أكبر قبائل السهل الغربي . ولكننا سنلاحظ فيما بعد ، ان بعض عناصر هذه القبيلة تتكلم التجري وليس البجة ، فيما تتكلم عناصر اخرى منها اللغتين معاً .

أما التيجري والتجرينية فهما لغتان ساميتان . تنتشر لغة التيجري بين معظم قبائل التلال الشمالية والسهل الشرقي ، أما التجرينية فهي ، كما سبقت الاشارة ، لغة المجموعة العرقية المتماسكة التي تعيش على الهضبة الوسطى ، كما انها تنتشر في شمال اثيوبيا ، في المنطقة المعروفة بالـ « تجراي » والممتدة حتى مجاري أنهر الانغارب ANGAREB وتكزي(TAKATSE) وآلا (ALA). تنبثق التجري والتجرينية من جذور لغوية واحدة : الجئز ، التي هي لغة الحبشة القديمة ، والتي لا تزال حية في الطقوس الكنسية الحبشية . وفيما تستخدم التجرينية ، التي ربما كانت الاقرب الى الجذور ، والتي هي لغة مكتوبة منذ قرون ، الحروف الجئزية ، فان لغة التجري التي تحوَّلت مؤخراً الى لغة مكتوبة ، تستخدم على حد سواء الحروف الجئزية والعربية . وعلى الرغم من التشابة الاسمي ، فان الروابط القائمة على الاصول والتركيب والبنية ، أكثر منها على التشابه في المظاهر ، تباعد بين اللغتين . يُضاف الى ذلك ان طريقة استخدام اللغتين اليوم ، تجعل التفاهم بين من يتكلمهما غير ممكن . وعلى سبيل المثال ، اضطر واضع هذا الكتاب ، ان يقوم بدور ترجمان مزدوج ، في لقاء جمعه في « اكلي غوازى » الى رعاة من التجري ومزارعين من التجرينية ، فكان يتكلم بالعربية مع رعاة التجري ، وبالايطالية مع مزارعي التجرينية . وتشكل الأمهرية فرعاً ثالثا ينبثق من الجذور الجئزيةِ ذاتها . وهي تنتشر في أواسط أثيوبيا ، وقد اعتمدتها الحكومة الامبراطورية لغة رسمية لدولة أثيوبيا ، مع انها ، كما يقال ، الفرع الأكثر

بعداً عن الجذور الجئزية القديمة ، وهي فوق ذلك بعيدة عن التجري والتجرينية بعد هاتين اللغتين عن بعضهما البعض .

أما لغة الساهو ، فتتكلمها القبائل المنتشرة في شرقي وجنوب شرقي اريتريا ، الى جانب تلك التي تعيش في مرتفعات التجراي الشرقي ومنحدراته الوعرة ، وفي أقاليم : ايروب (IROB) ، وعقامي(AGAME). وكلتا ـ اولالو (KILTE AWLALO),واندرتا ,(ENDERTA) وفيما عدا قرابتها الى الدناكلة التي هي لغة قبيلة الدناكل المتواجدة جنوبي السهل الشرقي ، فلا يعرف سوى القليل عن هذه اللغة ، كانتسابها مع لغة الدناكلة الى المجموعة اللغوية المعروفة بالحامية الجنوبية .

وأما البلين Belein التي تستخدمها ثلاث قبائل تعيش جنوبي مديرية « كرن » ، فينسبها بعض علماء اللغات الى مجموعة اللغات الحامية الوسطى ، المعتبرة أقدم لغات المرتفعات الاثيوبية . هذا الاعتبار ، يضع القبائل التي تتكلم البلين ، في خانة واحدة مع قبائل الآغاو Agau التي كانت في الماضي ، وحدة عرقية قوية ، وأصبحت تتمثل اليوم بمجموعات صغيرة ومتفرقة ، أكثرها على وشك الزوال والإنقراض ، تتوزع في وسط اثيوبيا في مقاطعات الاستا وآفرغالا ، ودمبيان ، وفوجيرا . أما واضع هذا الكتاب فيفضل اعتبار البلين لغة غير محددة الهوية .

وأما لغات الباريا والكوناما وإيليت المستخدمة عند القبائل التي تحمل أسماءَها ، فلا بد من وصفها هي الأخرى باللغات المجهولة الهوية . وهي تشكّل ، في اريتريا ، جزراً لغوية ، ليس بينها وبين اللغات المتواجدة معها أو المجاورة لها أية علاقة . يضاف الى ذلك ان هذه اللغات في استخدامها الحاضر تختلف عن بعضها البعض وتتباعد لدرجة أن أحداً من متكلمي

احداها لا يستطيع التفاهم مع متكلمي اللغتين الأخريين . ومع ذلك ، فهذه اللغات الثلاث ، تبدو متشابهة من حيث المبنى ومتقاربة مع عائلة اللغات السودانية ، لكنه من الصعب التحديد ما إذا كان هذا التقارب هو مع جناح لغات وسط السودان ، أو مع جناح فرعها النيلي .

أما اللغة العربية فتتكلمها مجموعات المهاجرين كالرشايدة في الشرق والشكرية في الغرب الذين استوطنوا في اريتريا في مرحلة متأخرة ، نسبياً . ولكنها تستخدم كلغة ثانية ، عند مجموعات وأفراد من القبائل التي اعتنقت الدين الإسلامي ، وقد أخذوها عن طريق بلاد العرب أو السودان . كما أنها أصبحت اللغة الشائعة الوسيطة في الاحياء الاسلامية في المدن الإريترية ، وخاصة تلك الواقعة على ساحل البحر الأحمر .

د ـ تقاليد وتاريخ :

إن المناطق التي حاولنا رسم اطار لها على أساس سبل العيش والدين والعنصر واللغة ، ليست متوافقة ، كما انها ليست مستقرة ولا دائمة . فقد تحدثنا عن خليط من عناصر ومجموعات تنتقل من حياة البداوة الى حياة الحضر ، مجموعات غيّرت دينها واستبدلت لغتها في ماضٍ قريب أو بعيد . أما كيف انحبكت الخيوط التي تشكّل قماش المجتمعات من عناصر وأديان ولغات وطرق عيش ؟ ، وما هو وزنها في تكوين هذه المجتمعات ؟ فهذا ما سنعالجه في البحث التالي ، متحاشين التطرق الى معرفة كيفية حبك هذه الخيوط لأنه موضوع شديد الخطورة .

صحيح ان ماضي التجمعات العرقية ، وأصولها العنصرية واللغوية والدينية ، التي كانت لها ذات يوم ، قد بقيت حية في ذاكرتها ، على شكل العديد من التقاليد ، وصحيح ان المجتمع الاريتري ، هو من أكثر المجتمعات الإنسانية ، ارتباطاً بتاريخه ، لكنه من الصعب جداً التوصل الى تحديد مدى الحقيقة التاريخية في هذه التقاليد . ذلك أن التقاليد على العموم تفتقر الى الدقة من التفاصيل التي كثيراً ما تبدو متناقضة . وقليلة هي التقاليد التي تساعدنا على استكشاف الماضي ، وأقل منها هي تلك التي من شأنها المساعدة على تفهّم الحاضر . والتقاليد التي من شأنها تقديم مثل هذه المساعدة ، فهي تلك المرتبطة

بتدعيم ادعاءات سياسية أو اجتماعية راهنة . وتبدو ادعاءات المتحدرين من أصل عربي ، المنتشرة بين القبائل المسلمة (بالرغم من أن اعتناقهم الاسلام ، لا يعود إلا الى أجيال قليلة مضت) أحد الأمثلة الصارخة على ذلك . وهناك مثال آخر نجده في التقاليد المرتبطة بقيام الفوارق الإجتماعية بين الطبقة الحاكمة وطبقة الارقّاء . فهنا أيضاً ، تبقى الحقيقة التاريخية صعبة المنال . والتقاليد ، حتى كأساطير ، تستعمل ـ بواسطة مبررات مقنعة ـ لتدعيم النظام السياسي والاجتماعي القائم .

٢ ـ السهل الغربي

أ ـ البلاد :

تقسم مديرية آغوردات ، التي تغطي هذه المنطقة الجغرافية ، الى ثلاث نواحٍ أو مقاميات هي : آغوردات في الشمال والشرق ، بارنتو جنوب غربي آغوردات ، وتسني (TESSENEI) في أقصى غرب المديرية . وفي الزاوية الجنوبية الغربية من المديرية ، عند الحدود الاثيوبية ، حوّلت قرية ام حجر الى مركز لنيابة مقامية . لهذا التقسيم أبعاد محض ادارية بشكل عام ، بالرغم من أنه يتوافق ، الى حد ما ، مع التجمعات العرقية في المنطقة . فمقامية بارنتو مثلاً ، تضم معظم الأراضي التي تتواجد عليها قبيلتا الباريا والكوناما ، بينما يبدو أن الهدف من انشاء مقامية آغوردات هو توحيد معظم قبيلة بني عامر . ولكن ، بما أن تواجد هذه القبائل ، يتخطى ، مع ذلك ، هذه الحدود الادارية ، فإننا لن نتوقف كثيراً ، عند هذه الحدود ، في نطاق بحثنا هذا .

من ناحية أخرى ، فان مراكز هذه المقاميات هي المدن الوحيدة في السهل الغربي ، وقد ظهرت حديثاً نسبياً ، إبان الحكم الإيطالي كمراكز عسكرية وإدارية وتجارية . فمدينة آغوردات يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠ نسمة ، بينما لا تتجاوز بارنتو ١٠٠٠ نسمة وأم حجر ٢٠٠٠ وتسني ٥٠٠٠ نسمة .

سكان هذه المدن الأربع خليط من عناصر مختلفة ، بينهم العديد من الغرباء الذين قدموا من السودان واليمن وأنحاء أفريقيا الغربية ، ومن مناطق أخرى من اريتريا . ولكن الاسلام الذي هو دين أكثرية السكان ، يحقق تجانساً دينياً نسبياً فيما بينهم ، وتقارباً في مستوى العيش الشبيه بمستوى عيش سكان مدن السودان وقراه . كما أن أبرز الزعماء وكبار التجار ، وبعض الوجهاء الدينيين وحدهم في القبائل المحلية المجاورة ، أخذوا يعتادون على قضاء ، جزء من السنة على الأقل ، في هذه المدن .

تعتبر مديرية آغوردات واحدة من أغنى المناطق الزراعية في اريتريا . ومع ذلك ، فإن إمكاناتها الزراعية غير مستثمرة ، بصورة كاملة ، لسببين ، الاول النقص في موارد المياه الدائمة الجريان ، والثاني الطابع البدوي الذي لا يزال يسيطر عند قسم كبير من السكان الذين لا يقبلون إلا قسراً على العمل في الأرض . لهذا نلاحظ أن أبرز المؤسسات الزراعية في المنطقة هي في عهدة مهاجرين من السودان أو من غربي افريقيا .

ثروة مديرية آغوردات في الحبوب ، تجعل منها منطقة تصدير لهذه المحاصيل ، ترسل الفائض منها الى الشرق الأكثر فقراً ، وخاصة الى كرن والهضبة . وتتم عمليات التصدير بواسطة وسائل النقل الحديثة في السيارات والشاحنات عبر الطرقات ، أو بواسطة القوافل على معابر الجمال التقليدية . ومديرية آغوردات هي في الوقت ذاته ، منطقة ترانزيت ، لاستيراد الحبوب من السودان ، خاصة في سنوات القحط ، عندما تنقص المؤن في المرتفعات المعرضة باستمرار لمثل هذه الظروف الصعبة . هذا الوضع أتاح لمديرية اغوردات ان تنعم بالإكتفاء الذاتي . ذلك أن اعتمادها على المناطق الأخرى ، خارج نطاق المنتوجات التجارية والانتاج الصناعي ، يقتصر على

المراعي التي تسعى وراءها باستمرار قبيلة بني عامر البدوية .

ب ـ بنو عامر :

يبلغ عدد أفراد قبيلة بني عامر حوالي ٦٠ ألفاً ، مما يجعل منها أكبر قبائل الغرب والجنوب الغربي ، لا بل كبرى قبائل اريتريا كلها . ينتشر بنو عامر في شمالي وغربي وجنوب غربي مديرية آغوردات ، ويتوغلون غرباً في العمق الى داخل السودان ، ـ حيث يعدّون ٣٠ ألفاً أيضاً ـ ، كما يتوغلون شرقاً في مديريتي كرن وسراي . تنتمي قبيلة بني عامر ، كما أشرنا سابقاً ، الى المجموعة العنصرية الكبرى المعروفة بالحامية . ولكن تسمية « قبيلة » لا تتلاءم ، بالمعنى المطلق ، مع بني عامر الذين يشكلون ، في الحقيقة ، مجموعة قبائل من أصول مختلفة في بعض الأحيان ، أكثر مما يشكلون وحدة عرقية واحدة ذات بنية قوية . أما تحالف هذه القبائل ، فيقوم على أسس سياسية ، ذات طابع إتحادي ضعيف واهن ، حول شخص زعيم أعلى يحمل لقب « دقلل » ، تعاونه طبقة حاكمة مشتركة من مختلف القبائل المتحالفة تعرف باسم « نابتاب » .

هذه الأصول غير المتجانسة لبني عامر تبرز بوضوح في وضعهم اللغوي . فبعضهم يتكلم البجة وبعضهم الآخر يستخدم لغة التجري ، فيما يستعمل آخرون اللغتين معاً . وبالنسبة لعدة فروع ، لم يؤد نمو ما يعرف بـ « أمة » بني عامر ، الى القاء أية ظلال على أصولها المتعددة . وسنرى ، فيما بعد ، انه يوجد ، بين فروع بني عامر ، من يتحدر من الهدنروا السودانيين ، أو من قبيلة عد شيخ في التلال الشمالية ، أو من مجموعات زنجية الأصل ، أو من مهاجرين عرباً .

وتبرز بوضوح طبقة « النابتاب » الحاكمة في بني عامر ، عبر التقسيمات القبلية السائدة ، وربما بمقدار بروز الفوارق العرقية . ولكن « نابتاب » كافة الفروع القبلية يردون بأن فوارق السلالات تقتصر على طبقة الارقاء فقط . أما فيما يتعلق بهم ، فإنهم يدّعون وحدة السلالة ونقاوة العنصر ، اللتين كانتا على الدوام في أسس ايديولوجيات الطبقات الحاكمة . وعلى كل حال ، انهم يردون أصلهم ـ في اطار معتقد غامض ـ الى رجل من قبيلة « جعلين » في منطقة النيل الأوسط ، تزوج من امرأة من قبيلة « البللو » ، السكان الاولون لبلاد بني عامر . وتضيف الرواية أن سلالتهما جاءت الى بلاد بني عامر وفتحتها وأخضعت لسلطانها المجموعات السكانية التي احتكت بها . وهناك معتقدات أخرى ، يغلفها الغموض عينه . وتقول أقربها إلى الأساطير ، أن « النابتاب » « خرجوا من الأرض الى النور » لقيادة سائر القبائل . وفي عودة إلى الأحداث الأكثر واقعية في تاريخ بني عامر ، نجد ان « النابتاب » هم فئات شرقية لعناصر حامية بدوية ، سيطرت على العديد من المجموعات الأضعف والأقل عدداً ، ووحدتها ـ جزئياً ـ فتكوّنت « أمة » بني عامر . ومن المحتمل أن تكون مجموعات غريبة أخرى ، قد انضمت اليهم ، على مر الأيام ، لضمان حمايتها من غزوات الجيران الأقوياء ، من قبائل السودان وأثيوبيا . وربما كان التمييز الطبقي حصيلة التمييز الأساسي بين الحماة والمحميين ، وبين الغزاة والمغزوين .

وفي المقابل ، لا توجد كلمة تعبر ، بحد ذاتها عن الأرقاء ، كما هي الحال مع الطبقة السائدة . فالارقاء يسمون ، بصورة عامة « عرب » الحكام أو الاسياد . كما قد يشار اليهم بكلمة « أنديسنا » NDESSNA التي تعني « الذين ينتمون » الى هذه أو تلك من فروع بني عامر . ويطلق عليهم كذلك

اسم « نابتابو هايفين (NABTABU HAIEFFIN) التي تعني « من هم دون النابتاب » . ويحمل الارقاء ، على العموم ، اسم الفرع القبلي الذي « ينتمون اليه » ، ويشكلون جزءا لا يتجزأ من هذا الفرع ، يعايشون أسيادهم ، ويشاركونهم اليوم في مختلف نشاطاتهم . ذلك أن التقسيم التقليدي القديم الذي جعل من السيد مقاتلاً وحامياً ، ومن المسودين الرعايا ارقاء وعملاء ، قد ولّى اليوم ، وأصبح هناك أرقاء أثرياء ذوي نفوذ ، يملكون الماشية ، ويستثمرون أرضاً يملكونها . وفي العديد من الحالات ، بلغت مجموعات كثيرة من الأرقاء ، قدراً من العدد والنفوذ مكّنها من اكتساب استقلالها السياسي ، وانتزاع الاعتراف بها قبائل مستقلة مثل قبائل : لبت ـ علمن ـ عدسالا ـ بيت عوض . ولم يعد للأصول البعيدة لهؤلاء الارقاء أكثر من مجرد ذكرى .

أما استقلالية النابتاب الإجتماعية (على الاقل من الوجهة المبدئية) فلم تعد موجودة إلاّ من خلال الحاجز الذي لا يزال يمنع التزاوج بين الأسياد والأرقاء . وأما عنصر التمييز الآخر ، الذي لم تبق له سوى الأهمية التاريخية ، فهو القانون القبلي المعمول به في مواجهة جرائم القتل . فبموجب هذا القانون ، اذا قتل نابتاب نابتاباً آخر من قبيلة اخرى أو من فرع قبلي آخر (اذ لا مجال لتطبيق القانون والعقاب الجزائي ، في حالة وقوع الجريمة ضمن نطاق القبيلة الواحدة ، لأن القاتل هنا يصبح شقيق القتيل) فإن القضية يجب أن تسوّى بالدم . وأما اذا قتل نابتاب أحد الارقاء فتسوّى القضية بدفع ثمن الدم بالنقود (الفدية) . أما مقتل النابتاب على يد أحد الأرقاء ، فأمر مستبعد الى حد ان العارفين ، لا يدخلون حتى في مجرد مناقشة عواقبه القانونية .

يتوزع بنو عامر على ٢١ قبيلة ، معروفة باسم « بطانة » وبالعربية

« قبائل » . هذا هو ، على الأقل ، التركيب الحالي ، لأن الاتحاد الضعيف الأواصر القائم بين هذه القبائل ، تعرّض في الماضي القريب والبعيد ، الى العديد من التغييرات ، بحيث انضمت اليه تجمعات جديدة ، وانسلخت عنه تجمعات أخرى . وكانت أسباب الانفصال ، على العموم ، تعود الى خلافات داخلية على الزعامة ، أو الى صراعات شخصية بين زعماء القبائل . فيما كان انضمام قبائل جديدة يعكس حاجة هذه القبائل الى الحماية بانتسابها الى الاتحادات القوية ، وربما جاء نتيجة تسلط أحد زعماء بني عامر الأقوياء ، واجبارهم التجمعات الصغيرة والضعيفة على الخضوع له ودفع الجزية . وهنا تجدر الاشارة الى ان الحكم الايطالي ، لأسباب محض ادارية ، قد شجع كثيراً عمليات الانضمام والتوحيد بين القبائل الاريترية .

وعلى غرار الاتحادات القبلية الهشة ، كانت القبيلة نفسها تقوم بين أطرافها روابط توحيد ركيكة مائعة ، ولذلك كانت القبيلة أيضاً معرّضة باستمرار الى التفكك والتشرذم ، كلما شعرت احدى البطون او العشائر بقدرة على التمرد على سلطة شيخ القبيلة ، والاستقلال بشؤونها . ويختلف حجم القبيلة أو « البطانة » ، ولذلك تقسم ، حسب حجمها ، الى عدد متنوّع من الفروع تعرف باسم « هيسا » (باللغتين : البجه والعربية) أو « هيسة » (باللغة التيجرية) . ضمن هذا المفهوم القبلي تعتبر القبائل فروعاً عائلية لذلك التواجد السكاني العائلي الروابط الذي تسوده طبقة بني عامر الحاكمة . وليست « الهيسا » (العشيرة) سوى تجمعاً عائلياً تربط بين أفرادها روابط النسب . وقد يحدث أن تبلغ بعض الفروع أو العشائر ، (كما في قبيلة عد عمر) حجماً يفرض الاعتراف بها كقبائل قائمة بذاتها . وقد يحدث ، في المقابل ، أن تتوثق أواصر القربى ، بين بعض القبائل

كما هي الحال ، بين قبائل : زقا ، وعدبخيت ، وعدطاوره ، وسنكات كيناب . ومن المحتمل أن تكون هذه القبائل قد انبثقت عن تجمعات ، كانت في الأساس ، فروعاً لقبيلة واحدة .

وهذه لمحة عن قبائل بني عامر (عدد أفرادها تقريبي) :

زقا : أهم هذه القبائل وأكثرها غنى ، تحتكر زعامة بني عامر ، ومنها جميع زعمائهم وحكامهم . تضم حوالي ١٢ ألف نسمة ، يتكلمون البجة والتجري . وفي المفهوم الحرفي ، تعني كلمة « زقا » « مخيم » ، وهي ترمز بدقة أكثر ، الى المخيم الكبير ، شبه الدائم ، الذي كانت تقوم مضاربه الى جانب ما هو اليوم مدينة آغوردات ، حيث كان يقيم الزعيم الأعلى لبني عامر ، ومنه كان يدير شؤون قبائله الموزعة هنا وهناك . هذا الوضع أدى الى قيام فرع قبلي خاص سمي « جماعة المخيم » ، ويضم أقارب الزعيم الأعلى وأتباعه العديدين ، وأرقاءه وعبيده . وفيما بعد اتخذ هذا الفرع اسم قبيلة بني عامر « الملكية » .

عد عمر : تقسم هذه القبيلة الى خمسة فروع كبيرة ، تدّعي كل منها اليوم ، ان لها كيانها القبلي المستقل ، وهي :

- عد علام ، تعد ٢٠٠٠ نسمة يتكلمون تجرى .
- آل حامد عوض ، تعد ١٠٠٠ نسمة يتكلمون تجرى .
- عد هومبيره ، تعد ١٥٠٠ نسمة يتكلمون تجرى .
- هسال ، تعد ١٦٠٠ نسمة يتكلمون بجة .
- شنياب ، تعد ١٥٠٠ نسمة يتكلمون بجة .

في أيام الحروب المهدية ، أدت النزاعات الداخلية ، الى خروج عد عمر

من اتحاد قبائل بني عامر . ولكن هذا الانفصال لم يدم سوى ١٠ الى ١٥ سنة ، وانتهى مع الاحتلال الايطالي لإريتريا ، بالرغم من أن الخلاف بين قبيلة عد عمر وشقيقاتها من القبائل الأخرى ، لا يزال قائماً .

عد عقود وعد طواس : تدّعي القبيلتان أواصر قربى وثيقة . تعد الاولى ١٠ الاف نسمة يتكلم بعضهم التجري وبعضهم الآخر البجة . أما الثانية فتعد ١٧٠٠ نسمة يتكلمون البجة . وقد انفصلت قبيلة عد عقود ، كقبيلة عد عمر ، منذ ٤٠ سنة عن اتحاد بني عامر ، واعيدت اليه سنة ١٩٤٠ .

عد بخيت ـ عد طاورة ـ سينكات كايناب : تدّعي هذه القبائل الثلاث أواصر قربى وثيقة فيما بينها ، ومع قبيلة زقا . يعدّ عد بخيت ٣٤٠٠ شخص يتكلمون تجرى ، فيما يعد عد طاورة ٤٠٠ نسمة وسينكات كايناب ٧٠٠ نسمة ، يتكلمون البجة . وفي الحقبة الأخيرة ، انتقل أبناء قبيلتي عد بخيت وعد طاوره الى حياة الحضر ، وتحوّلوا الى مزارعين ، واستقروا في أقصى جنوب شرقي بلاد بني عامر ، جنوبي آغوردات .

عد ابراهيم : تعد ٢٠٠٠ نسمة يتكلم أكثرهم التجرى ، فيما يتكلم الباقون البجة . وأثناء الحكم الايطالي ، سمي أحد أبناء هذه القبيلة زعيماً على قبيلتي عد عمر واللبت ، بهدف اعادة الفرعين المنفصلين الى اتحاد بني عامر . ولكن هذه المحاولة انتهت بوفاة هذا الزعيم .

فايداب : تعد ١٥٠٠ نسمة يتكلمون تجرى ، وهي تتحدر من عد شيخ في مديرية كرن ، ولكنها تدّعي قرابة مع نابتاب بني عامر لجهة الأم . وقد انضمت ، منذ زمن بعيد ، الى بني عامر .

عد شيخ غارابيت : تعد ١٢٠٠ نسمة ، يتكلمون تجرى . وهم يتحدرون من قبيلة عد شيخ ، ولا يزالون متمسكين بهذا النسب ، مع انهم انضموا ، منذ حوالي ٣٠ سنة الى اتحاد بني عامر .

لبت : يتراوح عدد أفرادها بين ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ نسمة يتكلمون البجة . ويتواجدون في منطقتين يفصل بينهما نهر الغاش بين تسني وام حجر . في الأصل كان أبناء هذه القبيلة ارقاء لقبيلتي الزقا وعد عقود ، ولكن يظهر انهم حصلوا على استقلالهم فيما بعد ، وأصبح لهم بدورهم طبقة ارقاء تابعة لهم . أثناء الحكم الايطالي ، استبدلوا استقلالهم السياسي ، بحكم ذاتي ، كفرع منفصل ، ضمن اتحاد بني عامر .

عد شرف : تعد ١٠٠٠ نسمة يتكلمون البجة والتجرى . يدّعون أصلاً عربيا ، ونسباً يعيدهم الى أحد الأشراف من سلالة الرسول (صلعم) . وقد انضمت قبيلة عد شرف « المقدسة » الى اتحاد بني عامر منذ عدة عقود .

بيت عوض : تعد ١٣٠٠ نسمة يتكلمون بأكثريتهم التجرى ، فيما يتكلم الباقون البجة . وقد كانوا ، فيما مضى ، أرقاء لقبيلة زقا ، ثم استقلوا عنها ، وأصبح لهم كيانهم القبلي الخاص .

عد غولتانا : تعدادهم ٤٠٠٠ نسمة يتكلمون تجرى .

القدين : تعدادهم ٥٠٠ نسمة يتكلمون التيجري ، انضموا الى اتحاد بني عامر ، إبان الحكم الايطالي . ولهم روابط قربى ، مع القبائل الزنجية الأصل ، والصغيرة الحجم التي تعيش بين قبائل بني عامر ، وإيليت ، وبيتاما ، التي سيرد الكلام عنها .

عد سالا أو عبداب : تعد ٥٠٠ نسمة يتكلمون البجة. ينظر اليهم على انهم متحدرين من أرقاء ، فيما يدّعون الإنتساب الى طبقة النابتاب . وهم يقاسمون عد البخيت وتولياب الأراضي الواقعة جنوبي شرقي آغوردات ، واعتمدوا مثلهم حياة المزارعين المستقرين الحضر .

عد نازي ، **عد هاساري** : مجموعتان صغيرتان ، تدّعيان أصلاً واحداً . تعد الاولى ٣٠٠ نسمة يتكلمون البجة ، وتعداد الثانية أقل من ذلك بقليل ، يتكلمون التيجري .

عد علي : عددهم ٣٠٠ نسمة يتكلمون البجة .

علمان : عددهم ٣٠٠ نسمة من الارقاء أصلاً استقلوا اليوم وأصبح لهم طبقة أرقاء تابعة لهم يتكلمون البجة والتيجرى .

حشيش : يتحدر قسم كبير من أبناء هذه القبيلة من الهدندوة ، القبيلة الحامية الكبيرة المتواجدة في شرقي السودان ، تعدادهم ٤٠٠ نسمة ، يتكلمون البجة . انضموا الى اتحاد بني عامر ، ابان الحكم الإيطالي .

* * *

تشكّل كل « بطانة » أو قبيلة وحدة سياسية يتزعمها عمدة أو « تابا دانا تاهادا » باللغة المحلية . ويخضع كل فرع من فروع « البدانا » المعروف باسم « هيسا » لإشراف شيخ يسمى « تيسا تاهادا » باللغة المحلية . هؤلاء الزعماء والمشايخ ، يجري انتقاؤهم من الطبقة الحاكمة « النابتاب » . أما اتحاد بني عامر فيخضع لسلطة زعيم أعلى أو أكبر ، أطلق على نفسه لقب « دقلل » ، يتم اختياره ، كما أشرنا سابقاً ، من أبناء قبيلة زقا . والدقلل الحاكم حالياً هو

جيلاني حسين . وكان الإنجليز قد خلعوه من منصبه بعد الاحتلال وأبعدوه الى السودان ، بسبب ما اتهموه به من ميول ايطالية ، ولكن بعد ثبوت عدم صحة الاتهام ، سمحوا له بالعودة الى اريتريا ، واستعاد زعامته لبني عامر ، يعاونه في ادارة شؤون الاتحاد نائب له يسمى « شيخ المشايخ » ، وينتمي مثله الى الزقا ، « القبيلة الملكية » . ومنصب الدقلل وراثي ، في سلالة انقسمت منذ عدة عقود الى فرعين . وهناك تقليد قديم يقضي بأن يتمثل الفرعان في منصبي الزعامة ، بحيث اذا جاء « الدقلل » من فرع ، يكون « شيخ المشايخ » من الفرع الآخر .

ومؤخراً ، أوجدت سلطات الاحتلال (البريطاني ـ المترجم) مركزين اضافيين لشيخ المشايخ ، ووزعت مختلف القبائل وفروعها على سلطة المشايخ الثلاثة ، فأعطت مسؤولية ١٥ منها لشيخ المشايخ الاول ، ومسؤولية ٥ منها لكل من الاثنين الآخرين . ولا توجد في تاريخ اريتريا أية سابقة لمثل هذا التجميع الاداري ، أو للتوحيد الذي تمّ بين مختلف الفروع ، أو للروابط الادارية التي أقيمت فيما بينها . وقد لاقت عملية الضم اعتراضاً بسيطاً ، فاجأ مصدره الجميع . ومفاده أن الزعيم الأعلى لقبيلة عد شيخ في مديرية كرن ، احتج على وضع عد شيخ غارابيت ، فرع قبيلته المنضم الى اتحاد بني عامر ، تحت لواء « شيخ مشايخ » غريب هو زعيم عد أكر . ولما كان هذا الزعيم لا يزال يعتبر نفسه مسؤولاً وحامياً لأبناء قبيلته السابقين ، فقد طالب بأن يعاد لهم وضعهم السابق المستقل ، ضمن اتحاد بني عامر .

وحدة بني عامر السياسية ، تقوّي أواصرها ديانة واحدة يدينون بها ، هي الاسلام . كما أن أكثريتهم تعترف بالزعامة الروحية لعائلة الميرغني ، التي تتمتع بالسلطة الروحية ذاتها في شرقي السودان . ولكن هذا لم يحل ،

من وقت لآخر ، دون بروز « رجال صلاّح » في بلاد بني عامر ، تحكّموا لفترة من الزمن بعواطف الناس وانتماءاتهم الدينية . وكانت آخر هذه الظواهر ، وربما أكثرها اثارة للإهتمام ، شخصية « سيدنا مصطفى » من قبيلة فايداب الذي نافس جدياً نفوذ عائلة الميرغني بين القبائل . وفي سنة ١٩٤١ ، عندما توفي « سيدنا المصطفى » ، تحوّلت مقبرته قرب آغوردات ، وما زالت ، الى محجة للعديد من أبناء القبائل .

وهناك عنصر آخر يشد أواصر بني عامر ، هو نمط العيش والحياة البدوية التي يحبونها كرعاة للمواشي من إبل وأغنام وماعز وأبقار ، في حين أن ممارسة الزراعة عندهم هي نشاط هامشي . ففي فصول الجفاف ، ينطلق بنو عامر باتجاه الغرب حتى الى داخل السودان أكثر من اتجاههم الى الشرق والجنوب ، بحثاً عن الماء والمرعى لمواشيهم . وأما رعاة الإبل فيفضلون التحرك شرقاً باتجاه المنحدرات الغربية للمرتفعات والتلال الشمالية . ويتوجه رعاة الماشية أحياناً نحو نهر الغاش ويعبرونه ، ويصل بعضهم الى مراعي أودية مناطق كرن واكلي ـ غوزاي والسراي في الهضبة الوسطى . وأما في موسم الامطار فيتحرك معظم الرعاة باتجاه نهر بركة ، حيث تشكّل القرى والكفر (المزارع أو القرى الصغيرة ـ المترجم) مراكز شبه دائمة للقبائل . في هذه الفترة من السنة ، يخفف أبناء القبائل من تحركاتهم ويستقرون في مواقع محددة (أنظر الخريطة رقم ٢) . وقد سبق لنا الحديث عن منطقة الجنوب الشرقي من السهل الغربي ، حيت تخلت بعض فروع بني عامر عن حياة البداوة تقريباً ، وتحوّلت الى حياة الحضر ، واستقرت وتعاطت الزراعة .

ج ـ الكوناما والباريا

تختلف هاتان القبيلتان الكبيرتان اختلافاً أساسياً عن التجمعات المحيطة بهما ، سواء من حيث العنصر أم من حيث الثقافة . وهما تتواجدان في منطقة البارنتو : الباريا في الشمال والكوناما او « البازا » في الجنوب ويفصل بين أراضي القبيلتين طريق السيارات ، وتمتد هذه الأراضي حتى مجرى نهر الستيت والحدود الاثيوبية من جهة ، ومدينة ام حجر غرباً من جهة أخرى . وهناك تجمعات صغيرة من الكوناما ، تعيش في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة السراي . وتتوغل هذه القبيلة أيضاً ، عبر الستيت الذي يشكل الحدود السياسية لاريتريا ، الى داخل اثيوبيا . وهذا الفرع من الكوناما ، رغم الروابط العرقية ، كان يشارك باستمرار جيرانه الاثيوبيين غزواتهم ضد أقربائه كوناما اريتريا . ومن أجل تفادي مثل هذه المخاطر الدائمة من الجانب الاثيوبي ، اضطر الكوناما الى التراجع شمالاً ، والانكفاء في الداخل . يبلغ تعداد الباريا ١٥٠٠٠ نسمة والكوناما ١٠٠٠٠ نسمة . وتنتمي القبيلتان الى العنصر الزنجي ، وربما هما بقايا شعوب زنجية أكثر عدداً ، كانت تتواجد في أواسط السودان وحوض النيل الأوسط ، اضطرها توسّع العرب و « البجة » الى التراجع جنوباً ، وربما إلى الاضمحلال تدريجياً . ولم تتوقف هذه الظاهرة حتى في الفترات القريبة منا زمنياً . فهناك دلائل تاريخية تثبت ان الباريا والكوناما تعرضوا بين سنتي ١٨٥٠ و ١٨٦٠ لعمليات ابادة جماعية جذرية ، بسبب غزوات بني عامر والاحباش المستمرة ضدهم .

يتكلم الكوناما والباريا لغتين مختلفتين من أصل سوداني ، ونادراً ما يتزاوجون . يعيش أبناء القبيلتين حياة حضرية ، ويستقرون في قرى حيث يتعاطون الزراعة . وأما لجهة الدين ، فأكثرية الباريا مسلمون ، بينما لم

يبدأ الكوناما اعتناق الاسلام إلاّ مؤخراً . ويلاحظ وجود نشاطات ارسالية كاثوليكية وبروتستانتية في هذه القبيلة تمكنت أن تكتسب كل منها حوالي ٢٥٠ مؤمناً . أما الطقوس الوثنية والكهّان العرّافون فهي من بقايا التواجد الزنجي في أواسط السودان ، وخاصة في جبال النوبا .

يقوم التركيب الإجتماعي عند الكوناما على أساس قسمة القبيلة الى ست عشائر (تعرف باسم « مولاتا » وهي : كارا ـ دولا ـ سوغونا ـ ناتاكا ـ سرمه ـ آرغاتاكرا . ومن عاداتهم الاجتماعية واحدة لا تسمح بالتزاوج بين أبناء العشيرة الواحدة ، أو من تجمع بينهم صلة قرابة ، وينسب الاولاد عندهم للام وليس للأب . هذه الظاهرة في حياتهم الاجتماعية هي التي تحدد ، الى حد ما ، مكان إقامة العائلة . فعند الزواج ينتقل الزوج للعيش في منزل الزوجة ويمكث هناك حتى ترزق العائلة بالأولاد . وبوسع العائلة الانتقال ، فيما بعد ، اذا شاءت ، الى مسكن الزوج . على انه من الممكن أن يكون الدين الاسلامي قد عدّل من هذا التقليد . وعند الطلاق ، يكون الاولاد من حصة الأم ، ويكون الوصي عليهم خالهم وليس والدهم . ويبدو أن لتقاليد العشائر خلفيات طوطمية ، كما يظهر من ارتباط هذه التجمعات ببعض الحيوانات ، أو الظواهر الطبيعية ـ مثل الفيل والقمر ـ المعتمدة رموزاً وشعارات لهذه التجمعات . وتتمتع العشيرة عادة بسلطات سحرية وروحية ، تمارسها لمصلحة القبيلة ككل . ويكون لبعض هذه السلطات أبعاد سياسية . وهكذا تتمتع عشيرة « كارا » مثلاً بالقوة السحرية لاستجلاب الحبوب ، تمارسها بواسطة كهولها أو كهّانها . وفي عشيرة « دولا » يوجد « صانع المطر » الذي يتوارث هذه السلطة عائلياً . وفي عشائر أخرى يوجد رجل دين يتولى السيطرة على الجراد . وأخيراً تتولى عشيرتا « دولا »

و « سوغونا » مهام التحكيم والمصالحة في النزاعات حول الأرض وثمن الدم في جرائم القتل ، بواسطة كبارهم ، أو و « سطاء الخير » في العشيرتين . وأما الأهمية السياسية لهذه « العشائر » فيدل عليها الإسم الذي تعرف به ، او يعرف به كبارها ، وهو : « لاغامانا » أي « زعيم الأرض » .

ومع ذلك ، فإن نظام العشائر هذا ، لا يلعب أي دور في حياة القبيلة السياسية ، لأن التركيب الاجتماعي يتداخل مع تقسيم آخر ـ أكثر فعالية من الناحية السياسية ـ يقوم على أسس وحدات اقليمية ومحلية . ولما كانت التجمعات العشائرية منتشرة جغرافياً بصورة غير منتظمة في مناطق تواجد القبيلة كافة ، فليس هناك أية علاقة بين التقسيم على أساس عشائر ، وذاك القائم على أساس الوحدات الاقليمية . يقال أن فوارق بسيطة ، في اللهجات والعادات ، تميّز بين التجمعات المحلية ، ولكنه من المستحيل ، في الواقع ، الجزم بصورة أكيدة ، كيف انطلقت هذه الفوارق ، وما اذا كانت نتيجة عمليات هجرة خارجية ، أم نتيجة انفصالات تلقائية داخلية ، أما اليوم ، فإن التقسيم الاداري للمناطق ، هو الذي يشكل وحده ، أساس النظام السياسي .

هناك ستة تجمعات محلية أو أقسام قبلية ، أخذت أسماءها من عناصر جغرافية ـ أسماء أنهر أو أمكنة ـ هي : ماردا ـ بركة ـ مقورابيب ـ سوغوداس ـ لاكاتاكورا ـ تيكا . تعيش التجمعات الثلاث الأولى شمال شرقي منطقة الكوناما بين نهري مقورابيب والغاش ـ الذي يسميه الكوناما بركة ـ ، ويقيم السوغوداس في الشمال الغربي ، واللاكاتاكورا والتيكا في الجنوب عند نهر الستيت الذي يسميه الكوناما « تيكا » . يتبع اللاكاتاكورا والسوغوداس مقامية « تسني » ، بينما تتبع الوحدات الاخرى مقامية

« بارنتو » . وكل وحدة من هذه الأقسام القبلية تقسم بدورها الى ٣ او ٤ فروع تمثل هي الأخرى تجمعات محلية تعيش في مناطق مختلفة او محددة . ويخضع كل فرع لسلطة زعيم يدعى « مانا » أو عمدة بالعربية . ويكون لكل وحدة محلية نائباً للزعيم يسمى « او دادا » او الوكيل . ابان الحركة المهدية ، كان الزعيم الاعلى للقبيلة ، هو « سيد كاكاشي » . ومن المعتقد انه خرج من أحد تجمعي « وسطاء الخير » ، لكنه غير واضح ، اذا كان قد حصل على مركزه بالوراثة ، أم كان مجرد زعيم قبلي ، انتقاه الشعب لقيادته ، أثناء نضاله ضد الغزو الخارجي . أما السيد كاكاشي ، فقد قتل في احدى المعارك سنة ١٨٨٤ ، ومات مركزه بموته .

يشبه التنظيم السياسي لقبيلة الباريا التنظيم المعمول به في قبيلة الكوناما ، شبها يكاد يكون وثيقاً . فمن جديد ، نجد أنفسنا أمام تنظيم على أساس تجمعات محلية أو أقسام قبلية ، مقسمة بدورها الى فروع صغيرة . يتوزع الباريا على وحدتين هما المقورابيب في الغرب (شمالي النهر الذي يحمل الاسم نفسه) والهجر في الشرق ، وكلاهما في منطقة بارنتو . ولكل وحدة زعيم يسمى « ماشينفه » او العمدة ولكل فرع نائب للزعيم يسمى « نادا » أو الوكيل وخلافا لكوناما ، أخضع الباريا أنفسهم ، منذ زمن بعيد ، الى قيادة موحدة باشراف زعيم أعلى ، يدعى ، على الطريقة العربية ، ناظر القبيلة . تنظيمهم الاجتماعي يشبه هو الآخر تنظيم الكونامَا ، ويقوم على أساس « عشائر » تسمى « نارا » . وتتمتع هي الاخرى بسلطات سحرية . أما النسب عندهم فيتبع الوالد . كما سيطرت عندهم المفاهيم الاسلامية على أرضية الثقافة والحضارة . وبسطت ظلالها على الأسس الاجتماعية في القبيلة .

د ـ القبائل الصغيرة والمهاجرون :

في قلب منطقة بني عامر ، تتواجد تجمعات صغيرة لقبائل متحضرة ذات أصول مختلفة ، حافظت على صفاء عنصرها ، برفضها ، على الاخص ، التزاوج مع جيرانها . فهناك السابدرات ، عند الحدود السودانية ، عددهم حوالي ٣٠٠٠ نسمة ، يتكلمون العربية والتجرى ، ويدينون بالاسلام ، ويدّعون الانتساب الى سلالة تقودهم الى أحد أشرفاء مكة المكرمة . وأما الإيليت الذين يقيمون فوق تلال « آلكوتا » ، فعددهم حوالي ٦٠٠ نسمة ، يتكلمون لغة خاصة بهم ، ولكنهم مسلمون مثل السابدرات . وهناك البيتاما ، لا يزيد عددهم على ١٥٠ نسمة ، دينهم الاسلام ولغتهم التجرى ، ينتمي الإيليت والبيتاما الى أصل زنجي ، وربما كانوا من أصل قريب الى الكوناما . عاشوا ، فيما مضى ، تحت سلطة السابدرات ، لكنهم استقلوا عنهم منذ عدة عقود ونجد كذلك حوالي ٤٠٠ نسمة من الشكريه العرب ، يتواجدون قرب حدود كسلا ، بعد أن انفصلوا عن القبيلة الأم السودانية التي تحمل الاسم نفسه ، واستقروا حيث هم الآن ، منذ ما قبل عهد المهدية .

وعلى نهر الغاش ، في قرى دوكومبيا وفوجيرو ، في قلب بلاد الكوناما ، نلتقي مجموعة من الأقباط يتكلمون التجرينية ، عددهم حوالي ١٠٠٠ نسمة ، استقروا حيث هم منذ حوالي ٣٠ سنة ، جاء أكثرهم من منطقة السراي ، ويوجد بينهم من قدم من اثيوبيا وغوندار والتجراى . وفي قرى تقع جنوبي ، وجنوب غربي مديرية آغوردات ، تتواجد مجموعات جاءت من غربي افريقيا والسودان والصومال ومن عرب الرشايدة ، تتعايش جنباً الى جنب ، من دون أن يتطور هذا التعايش الى شكل من أشكال الوحدة السياسية الخاصة

بهم . تعود هجرة الكثيرين منهم الى الحقبة الحديثة ، وقد استهوتهم امكانات التجارة والمشاريع الزراعية الواسعة التي بدأها الحكم الإيطالي في منطقة تسني . وتشهد أيامنا هذه موجة جديدة من الهجرة الى هذه المنطقة . هذه الظاهرة جديرة بالاهتمام لأنها تعيد ، في إطار عصري ، ما يحتمل أنه شكّل العنصر الأساسي في نمو « امة » بني عامر وطبقة الارقاء فيها . وينتمي المهاجرون الى قبيلة الماريا التي تقع منطقتها القبلية في مديرية كرن . ففي كل سنة ، في فصل الجفاف ، تنتقل مجموعات ، من هذه القبيلة التي تعد حوالي ٤ الى ٥ الاف نسمة ، باتجاه نهري بركه والغاش ، سعيا وراء المرعى . وقد استقر فريق من الماريا ، بأعداد متزايدة خلال السنوات العشر الأخيرة ، في مديرية آغوردات ، واستقرت أعداد أقل في كسلا في السودان . أما أسباب هذه الهجرة فتعود الى فقر الأرض وقلة المرعى في بلادهم . وفي مناطق الهجرة يشتغل الرجال كعمال في المدن ، أو كرعاة عند بني عامر . أما النساء فتشتغلن في حياكة الحصير من أوراق النخيل ، أو في خدمة عائلات بني عامر . من هنا القول الشائع انه من النادر أن تجد عائلة في آغوردات ، وليس عندها خادمة من الماريا ، وتنتمي أكثرية المهاجرين الى طبقة الارقاء في قبائلهم ، ولكن بينهم عدد قليل من الأسياد الذين افتقروا وانتهوا الى وضع الارقاء . وفي حين حافظ هؤلاء ، في آغوردات ، على رمز وحيد لوضعهم القبلي المميز ، هو الحق بدفع الجزية عبر زعيمهم القبلي ، فإنهم فقدوا ، في كسلا ، حتى هذا الحق ، وربما انتهت أسماؤهم ، بعد عقد أو اثنين ، من لائحة أرقاء بني عامر .

٣ ـ التلال الشمالية

آ ـ البلاد

تقسم مديرية كرن التي تغطى منطقة التلال الشمالية إلى مقاميتين (Residen ZA) هما : كرن في الجنوب ونقفه في الشمال . وخلافا لما هو حاصل في سائر المديريات الاخرى ، يتلاءم هذا التنظيم الاداري مع جغرافية المنطقة ، وتركيبها العرقي . فاقليم كرن يقع عند الهضبة السفلى التي تتدرج منها التلال باتجاه الشمال ، بينما يقع اقليم نقفه في منطقة التلال ذاتها ، ومعها الشريط الساحلي الذي يقع عند سفوحها الشرقية . كما ان سكان كرن هم من الحضر ، بينما سكان نقفه من البدو الرحّل .

هذه الفوارق نجدها أيضاً ، في المجال الاقتصادي : اقليم كرن غني نسبيا بثروته الزراعية ويكاد يكفي نفسه بنفسه ، في حين أنه ليس في وسع اقليم نقفه الاعتماد الا على مساحات صغيرة من الأراضي الزراعية ، وهو لذلك لا يميل الى الزراعة ، بل يعتمد ، بصورة شبه تامة ، على الاستيراد من الخارج ، وهو في ذلك يعتمد خاصة على مصدرين اثنين . فالاستيراد على نطاق واسع ، الذي يؤمنه التجار ، يصل الى كرن ونقفه من آغوردات ، في حين تشكل مصوّع مصدر المشتريات الصغيرة التي يقوم بها مباشرة الافراد او العائلات . وتشكل هذه المنطقة ممراً لتجارة الترانزيت وخاصة لحبوب

اليمن . ويشكّل التبادل بين الحبوب والماشية ، جزءاً من العادات الموسمية في حياة هذه القبائل الرعوية ، التي يصل مدى نزوحها الشتوي حتى منطقة الشواطئ .

أما السعي المستمر وراء المرعى ـ وهذا يشكّل اعتماداً اقتصادياً على أراضي الغير ـ فانه يقتصر على عدد قليل من أبناء قبائل كرن ونقفه . فقبيلة ماريا الزرقاء ، تتحرك شتاء باتجاه وادي بركة ، في مديرية آغوردات ، فيما تقود قبيلة المنسع قطعانها الى سهل شعب ، على حدود مديرية مصوّع . وفي السنين القاحلة يبحث « الحباب » عن مرعى لقطعانهم في منطقة طوكر داخل السودان . أما سائر القبائل فيبقى نزوحها ضمن اطار المديرية ، بين مقرها الصيفي على التلال ، وبين الساحل أو أودية شوتيل وعنسبه المنخفضة في فصل الجفاف .

لا يوجد في مديرية كرن سوى مدينة واحدة هي كرن ، وعدد سكانها المحليين حوالي ۹۰۰۰ نسمة ، يتوزعون بنسب متساوية تقريباً ، على أفراد القبائل المحلية ، ويدين أكثرهم بالإسلام ، يضاف اليهم وافدون من اليمن والسودان والصومال ، وخاصة من الهضبة الاريترية ومن أثيوبيا . ينتمي حوالي ثلث سكان كرن المحليين الى قبيلة بلين . وكرن هي مستوطنة قديمة ، كانت قائمة أيام مونتزيغر باشا ، المغامر السويسري في خدمة المصريين ، الذي اتخذ منها مقراً لحكومته التي لم تعمر طويلاً (۱۸۷۱ ـ ۱۸۷٦) . وفي عهد الحكم الايطالي ، تحوّلت كرن الى مركز اداري وعسكري وتجاري هام ، وأصبحت ثالث أكبر مدينة في اريتريا .

أما نقفه ، عاصمة اقليم نقفه ، فهي مجرد قرية لا أهمية لها في فصل الشتاء ، حيث يتراوح عدد سكانها بين ۱٥۰ و ۲۰۰ نسمة . بينما ، في

فصل الصيف ، عندما تعود القبائل البدوية الى مراكزها في التلال ، فإنها تتحول الى مركز سكني مزدحم والى سوق تجارية ناشطة .

ب ـ السكان

ان تنوع القبائل والعناصر في التلال الشمالية ، لا يساعد على تسهيل تصنيفها . فلغوياً ينقسم السكان الى مجموعتين كبيرتين : المجموعة الاولى تتكلم البلين ، والمجموعة الثانية تتكلم التجرى . وتضم المجموعة الاولى ثلاث قبائل ، فيما تضم المجموعة الثانية عدداً كبيراً من الوحدات العنصرية المستقلة مثل الحباب والمنسع والماريا وغيرها . كما أن هناك تجمعات لغوية صغيرة ـ واحدة تتكلم التيجرينية ، وثانية تتكلم العربية ، وثالثة تستخدم البجه والتجرى معاً .

أما التقسيم على أساس الخلفيات الاقتصادية وأنماط العيش ، فهو أكثر دلالة ، وبالإمكان رسم خط فاصل ضمن اطاره ، بين الشمال والجنوب ، بين التجمعات الجنوبية الحضرية بمعظمها ، وبين التجمعات الشمالية التي لا تزال قبائل بدوية . تتبع التجمعات الجنوبية ادارياً اقليم كرن ، بينما تتبع القبائل الشمالية اقليم نقفه . على انه يوجد استثناءات مع ذلك ، فبعض القبائل الشمالية ، استبدلت ، أو هي في طريق استبدال نمط حياتها الشمالي البدوي بنمط حياة الجنوب الحضري .

ويجب أن نضيف الى لائحة القبائل التي أوردنا ، فروعاً من بني عامر ، تقود قطعانها لمراعي وادي شوتيل في الجنوب الغربي ، ومجموعة تقيم في « الأقاليم الحبشية » جنوبي كرن ، وتتكلم التجرينية ، ولكنها لا تشكل قبيلة ، بل مجرد فروع من العناصر المستقرة في الهضبة الوسطى .

ج ـ النظام الاجتماعي

إضافة الى الفوارق العرقـية ، والإختلاف في أنماط العيش والسكن ، هناك فارق غاية في الأهمية ، انه التباين الاجتماعي بين الطبقة الحاكمة وطبقة الأرقاء . وتختلف الأسماء التي تدل على هاتين الطبقتين باختلاف القبائل ولغاتها ، وان كانت تسمية شوماغاله « Shumagalle » للطبقة الحاكمة ، و « تجرى » للأرقاء ، قد أخذ بهما في مختلف أنحاء المنطقة ، مع انهما من لغة التجري . من هنا ندرك ، كيف تضم قبيلة البلين طبقة تجرى لا تتكلم لغة التجرى التي هي لغة الارقاء ، وكيف اننا نجد بين القبائل التي تتكلم التجرى ، طبقة الأسياد تقاسم ارقاءها لغتهم . هذا الواقع الغريب له مع ذلك تفسير مقبول يقول أن طبقة حاكمة غريبة ، اعتمدت ، على مر الزمن ، لغة السكان الأصليين بعد أن استعبدتهم وحوّلتهم الى أرقاء . ولكن المعطيات التاريخية تبقى غير كافية لإثبات هذه النظرية بشيء من التأكيد والجزم .

وفي الحقيقة ، ان المعطيات المتوفرة حول الهجرة والجذور العرقية ، لا تساعد إلا على تعقيد الصورة . والشائع هو أن الطبقة الحاكمة في هذه القبائل ، تتحدر إما من البجة في السودان ، وأما من العنصر الاثيوبي (المتكلم التجرينية) المتواجد في منطقة الهضبة الوسطى . أما بشأن الارقاء ذوي الاصول المتعددة ، فإنهم يمثلون بقايا سكان أصليين ، ومتحدرين من عبيد وتجمعات صغيرة ضعيفة ، أُخضعت لسلطان أسياد الأرض الجدد . وفي بعض القبائل ، مثل الحباب وعد تماريم ، يعبرون عن هذا التمييز بالتسميات ، حيث يطلق على المتحدرين من عبيد اسم « ماكيت » ، بينما يطلق على الارقاء الآخرين اسم « تجرى » . وفي قبائل اخرى ، يدّعي كلا

الاسياد والارقاء أصولاً عربية . أما الحقيقة الوحيدة الملموسة الباقية ، فهي ان هناك مجموعات توحّدت ، عن طريق اخضاعها لنظام تسلط سياسي ، وقبولها بقانون واحد ، ولّد عندها شعوراً با « لإنتماء المشترك » .

بهذا المعنى « ينتمي » الارقاء الى القبيلة أو فروعها ، او حتى الى مجموعة نسب أسيادهم . وقد اعتمد أكثر الارقاء الهوية القبلية لأسيادهم ، في حين أن هناك بعض مجموعات احتفظت باسمها العائلي او القبلي القديم . يعيش الارقاء مع أسيادهم في نفس المكان ، ويحضرون معهم الاحتفالات والاعياد القبلية ، وإن يكن في صفوف المؤخرة دائماً . كما أنه يوجد تزاوج بين الاسياد والارقاء ، ولكنه من طرف واحد : فالسيد وحده له الحق أن يتزوج من النسوة الارقاء ، بينما العكس ممنوع منعاً باتاً . ويتجسد التمييز الطبقي ، على الأخص ، في الزعامة ، وبعض المحاذير الإجتماعية والاقتصادية المفروضة على الارقاء . فالطبقة الحاكمة وحدها ، هي التي تعطي القبيلة أو فروعها ، الزعامات والقيادات الوراثية ، ووحدها تحتكر ادعاء حق الملكية على كافة الاراضي القبلية . بوسع الارقاء استثمار الأراضي القبلية لحسابهم الخاص ، ولكن ذلك لا يمكن ان يتم إلاّ باسم أسيادهم ، ومقابل اعطائهم حصة من الحصاد كبدل لإيجار الارض . وبوسعهم أيضاً امتلاك المواشي واستخدام المراعي ، وانما مقابل دفع متوجبات عن ذلك للأسياد . وأما الارتباط بين الارقاء والأسياد فهو دائم وأبدي ، وليس بوسع الارقاء تغيير انتماءاتهم إلا بإذن من أسيادهم . وعلى الارقاء القيام بالأعمال التي لا تتوافق مع أولئك الذين ولدتهم أمهم أسياداً ونبلاء ، مثل رعي الماشية ، وحلب الأبقار ، أو العمل في الأرض كمزارعين . ويتوجب على الارقاء ، أخيراً ، تقديم بعض الهدايا ، التي هي في أغلب الاحيان شكلية ، الى أسيادهم ،

بمناسبة الاعياد القبلية ، وفي موسم الحصاد ، وعند ذبح احدى ماشية القطيع .

وقد مرت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الأسياد والارقاء ، بكثير من التغييرات ، كما انها تمر حالياً بمرحلة اعادة نظر . ففي قبيلة البلين مثلاً حصل ان اشترى ارقاء اراضٍ من أسيادهم ـ العادات المعمول بها تمنع ذلك ـ فأصبحوا ملاكين يتمتعون بكامل حقوق الملكية . ولم يبق في هذه القبيلة من العلاقة القديمة التي كانت تقوم بين صاحب الأرض ومستثمرها ، سوى دفع الضريبة عن هذه الأرض . وقد وصل الأمر ببعض الارقاء أن رفضوا الاستمرار في تقديم الهدايا التقليدية ، وحصلوا على اعفاء من أسيادهم عن هذه الموجبات ، وان كان الاسياد لم يعترفوا بمثل هذا الحدث ، الا من حيث الأمر الواقع ، رافضين اعطاءه الصيغة القانونية . وحدث ، أكثر من ذلك ، ان رفض بعض الأرقاء القيام بواجبهم الأساسي الذي هو حلب البقرة ، مع ما في ذلك من ازعاج لأسيادهم . نسبة هذه التغييرات تختلف باختلاف القبائل ؛ فالواجبات المفروضة على الارقاء زالت كلياً في قبيلة البلين ، بينما هي في طريق الزوال في قبيلة المنسع ، كما بدأت تظهر دلائلها في قبيلتي عد تكليس ، وبيت جوك ، فيما بقيت هذه العادات راسخة عند قبيلتي الماريا والحباب .

ومن أجل فهم أفضل لهذه التغييرات ، لا بد من تفهم طبيعة العلاقات القائمة بين الاسياد والارقاء ـ او التي كانت قائمة ـ على أساس مبدأ الأخذ والعطاء المحدد . فمقابل الخدمات التي يقدمونها كان الارقاء يحصلون من أسيادهم على الحماية ، وحق استخدام المراعي ، واستثمار الأراضي الزراعية التي امتلكها الاسياد باسم حق الفتح . أما اليوم ، فإن الحاجة للحماية قد زالت ، ومرور حقبتين من السلام ، أبطل ادعاءات الفتوحات القديمة .

كما ان التغييرات الاقتصادية قوّضت امتيازات الأسياد ، إذ يوجد اليوم ، « أسياد » فقراء ، و « أرقاء » أغنياء . وفوق ذلك ان علاقات المصالح لم تعد تتناسب وطبيعة العلاقات القديمة . وربما كانت هناك عناصر أخرى ، أقل وضوحاً من تلك التي أوردنا ، لها تأثيرها على العلاقة بين الأسياد والأرقاء . ومنها مثلاً أنه ، اذا كان على الارقاء واجب احترام أسيادهم وطاعتهم ، فعلى الاسياد ان يعاملوا ارقاءهم معاملة أبوية . وفي الواقع ، يبدو أن القبائل التي حافظت على النوعية القديمة في علاقاتها ، هي تلك التي لم تتوان فيها الطبقة الحاكمة عن القيام بواجباتها كاملة تجاه رعاياها ، بينما تخلفت عن القيام بهذه الواجبات القبائل الأخرى ، فخسرت طاعة الارقاء واحترامهم . واليوم ، بعد أن خسروا سلطانهم المادي ونفوذهم المعنوي والنفسي ، اتجه الاسياد الى الحكومة ، طالبين منها المساعدة للاحتفاظ بسلطانهم المتضائلة أو على اعادتها لهم .

د ـ القبائل الجنوبية :

ـ **البلين** :Belein : لهذه المجموعة الكبيرة اسم آخر هو « بوغوص » ، وهي تتواجد جنوب مديرية كرن ، وتتألف من قبيلتين (وهناك قبيلة ثالثة تنتسب اليها ، سيرد الحديث عنها) هما : بيت طرقه ، وتعد حوالي ١٠ الاف نسمة ، وبيت طوقه وتعدادها حوالي ١١ ألف نسمة . وبالرغم من أن القبيلتين تتكلمان لغة واحدة ، ولهما ثقافة وحضارة مشتركة ، فإن كلاً منهما يعتبر نفسه وحدة منفصلة لها أصولها المستقلة . فالاولى تدّعي القدوم من مرتفعات اثيوبيا ، والثانية تدّعي انها من (حماسين) الاريترية . وتعيش كل قبيلة على حدة ، في مناطق محددة : بيت طرقه في الجنوب ، وبيت

طوقه في الشمال الغربي . وتنقسم كل من القبيلتين الى عشائر تسمى « هيسة » ، فتتوزع قبيلة بيت طرقه على خمس عشائر ، وبيت طوقه على ستة . وتنقسم كل عشيرة بدورها الى عدة تجمعات عائلية ، تعرف هي الاخرى باسم « هيسة » . ويجب أن نضيف الى البلين مجموعة صغيرة ثالثة ، من حوالي ١١٠٠ نسمة ، هي مجموعة باب جنقرين ، وهي من أصل غريب ، وكانت في الأصل تستخدم لغة غير التي تستخدمها اليوم . وهناك فروع من هذه القبيلة يعيشون حالياً بين الحباب وغيرهم من المجموعات التي تتكلم التجرى . أما « باب جنقرين » الذين يعيشون حالياً مع البلين ، فقد اعتمدوا لغتهم وانتسبوا الى قبيلتهم . ويلاحظ أن التوزيع الطبقي بين أسياد وأرقاء ، يسود حتى في هذه القبيلة الصغيرة والتابعة . وقد بقي الـ « باب جنقرين » مستقلين سياسياً حتى سنة ١٩٣٢ ، عندما أُلحقوا ، لاسباب ادارية ، ببيت طرقه ، ووضعوا تحت قيادة زعيم هذه القبيلة ، مع الاحتفاظ بزعيمهم الذي يحمل لقب « سيم » .

بقي البلين ، حتى ٧٠ أو ٨٠ سنة خلت ، على الديانة المسيحية القبطية ، ثم بدأوا ، أثناء الغزو المصري لمرتفعات كرن (١٨٦٠ ـ ١٨٧٦) ، يتحولون الى دين أسيادهم الجدد ، وأصبح القسم الأكبر منهم اليوم يدين بالإسلام ، ولكننا نجد ، مع ذلك ، في بيت طرقة حوالي ٥٠٠٠ تحوّلوا الى المسيحية الكاثوليكية ، وعدداً قليلاً تحوّل الى المسيحية البروتستانتية ، على يد المبشرين ، ولا تزال توجد في القبيلة أقلية مسيحية قبطية .

يمارس البلين الزراعة بصورة خاصة ، ويستقرون في مستوطنات دائمة ، هي عبارة عن قرى تضم أربع أو خمس عائلات . وفي هذه القرى يتعايش الاسياد (يسمون هنا سيماجر Simager) والارقاء (يسمون هنا ميكارو

Mikeru) ويتقاسمون سبيل العيش الذي هو الزراعة .

وأما التنظيم السياسي لقبائل البلين ، فيعكس عاداتهم المتحضرة ، وهو يقوم على أساس الأقاليم التي تتواجد فيها هذه القبائل . فحتى فترة قريبة ، كانت كل عشيرة من عشائر بيت طرقه وبيت طوقه ، تمارس الحكم الذاتي ، بقيادة زعيمها الوراثي (سيم) . وفي سنة ١٩٣٢ ، اتخذت الحكومة الايطالية قراراً بوضع زعماء العشائر تحت ادارة رئيس اقليم يدعى « مسلني » Meslènie ، ولكن هذا التدبير ، على الرغم مما فيه من منطق ، لم يلق اي ترحيب شعبي . هكذا يتحول التنظيم الاداري على أساس التجمعات القبلية ، الى تنظيم أساسه الادارة الاقليمية . ويظهر الاول في التقسيم الداخلي الى عشائر وتجمعات عائلية ، بينما يظهر الثاني في السلطات الإقليمية التي يمارسها الزعماء القبليون . وهناك استثناء واحد لسلطة زعماء القبائل الاقليمية : النزاعات التي تحصل بين الرعاة الذين يؤمّون بلادهم في اطار النزوح الموسمي ، فإنها تبقى من صلاحية زعماء القبائل التي ينتسب اليها هؤلاء الرعاة . وأما الخلافات التي قد تقع بين « الضيوف » و « المضيفين » فتخضع ، حسب العادات والتقاليد ، لسلطة زعماء « المضيفين » الذين يفتون في هذه الخلافات كقضاة .

الماريا : تعد هذه القبيلة حوالي ٢٥ ألف نسمة ، يعيشون شمال غربي منطقة البلين . ولهم صلة نسب توحدهم مع بعض القبائل الاخرى مثل المنسع الذين يتكلمون التجرى ، والساهو الذين يتكلمون الحزو ، والاسوارتة التي يقال انها جاءت من بلاد العرب . ولثمانية أجيال خلت ، وبعد أن استقر الماريا حيث يعيشون حالياً ، انقسموا الى قسمين : الماريا السود (ماريا

تسالام) والماريا الحمر (ماريا تيح) . ويقال أن التسمية تعود الى لون بشرة زوجتي الجد من سلالة الوالد . فقد كانت الزوجة الاولى زنجية سوداء ، والثانية سمراء « حمراء » البشرة . والماريا السود هم الأكثر عدداً والاوفر ثراء من أشقائهم ، ويعتقد انهم وُلدوا قبل أشقائهم ، ولذلك ادعوا الحق في اعطاء زعيمهم الوراثي ، اللقب القديم الذي كان يحمله زعيم القبيلة الأعلى : « شوم » . غير أن هذا الامتياز ، زال الآن ، وأصبح لكل فرع زعيمه الذي يحمل لقب « شوم » . التزاوج مسموح بين الفرعين اللذين يعيشان ، مع ذلك ، في مناطق محددة بدقة : الماريا السود في الغرب ، والماريا الحمر في الشرق . وينقسم كل فرع الى أربعة تجمعات عائلية تدعى « هيسة » ، تخضع كل منها لسلطة زعيم وراثي ، يسمى هو الآخر « شوم » . هذه التجمعات لا تعيش في مناطق مستقلة ، بل تتعايش وتختلط ببعضها البعض . يشكل المتحدرون الاصليون من الجد الاول ، نبلاء القبيلة ـ شوماغاله ـ ويعطون القبيلة زعماءها وقياداتها . أما الارقاء ـ تجرى ـ فإنهم هنا ، كما في سائر القبائل ، أحفاد العبيد ، أو سكان البلاد الأصليين ، أو من المنتمين الى فروع قبيلة ضعيفة أصبحت تحت رعايه الماريا .

على غرار البلين ، كان الماريا ، في الأصل ، مسيحيين أقباطاً ، وتقول تقاليد محلية ، انهم كانوا ، في الأصل ، مسلمين ، اعتنقوا الديانة المسيحية السائدة في منطقة تعايشهم . وفي مطلع القرن التاسع عشر ، اعتنقوا الدين الاسلامي ... او عادوا إليه .

يمارس الماريا الزراعة على نطاق ضيق ، وتبقى ثروتهم الأساسية المواشي من أبقار وأغنام وماعز (خاصة عند الماريا السود) وإبل كبيرة . وتقتصر نزوحاتهم الموسمية ، سعياً وراء المرعى ، على حدود مناطقهم القبليه .

إلاّ ان الماريا السود الذين يستقرون اجمالاً قرب حدود أغوردات ، ينزحون موسمياً الى وادي بركة الواقع داخل هذه المديرية . وتعيش بعض المجموعات المنتمية خاصة ، الى الماريا الحمر ، بصورة دائمة ، في قرى صغيرة . إلاّ أن معالم الأصول البدوية لا تزال ظاهرة في محافظتهم على نمط المضارب المؤقتة ، التي نادراً ما يتعدى عددها ٣ او ٤ خيم ، ينقلونها من مكان الى آخر ، كلما وسّعت القبيلة رقعة أرضها الزراعية . يتعايش أسياد الماريا مع أرقائهم ، ولكن الجميع يحترمون ، مع ذلك ، بدقة وصرامة ، التوزيع القديم للعمل ، حيث الارقاء يمثلون الالات المحركة للأرض ، والأسياد أصحابها المتفرجين ..

وكما هو الوضع عند البلين ، يتناسب هنا أيضاً تقسيم الوحدات الإقليمية مع توزيع الوحدات القبلية . فالتنظيم السياسي عند الماريا يقوم على أسس اقليمية . وهنا أيضاً النزاعات التي قد تحصل بين الوافدين أثناء نزوحاتهم الموسمية ، يبقى حلها من صلاحية زعمائهم القبليين .

المنسع : تعيش هذه القبيلة ، شرقي منطقة البلين ، في منطقة تصل الى الحدود الادارية بين كرن ومصوّع والحماسين . وهذه القبيلة الصغيرة ، لا يتعدى تعدادها ٥٠٠٠ نسمة . وهي تنقسم الى فرعين يضم كل منهما خمس تجمعات عائلية ـ هما بيت ابرهه ABREHE ، وبيت اشحقن . وقد سبق وأشرنا الى اصول هذه القبيلة ، ففرعا القبيلة يتحدران من جد القبيلة الواحد المعروف باسم « منصاع MENSAAI. وفي هذه القبيلة أيضاً ، شكّلت ذرية الجد القبلي طبقة النبلاء التي تحكم طبقة الارقاء المعروفة هنا أيضاً باسم « تجرى »

يتوزع فرعا القبيلة على منطقتين منفصلتين . بيت ابرهه في الشمال ، وبيت أشحقن في الجنوب . ويشكل بيت ابرهه الفرع البكر ، الأغنى بالأراضي

والذي يقال أن امبراطور اثيوبيا منح أحد أجداده ، سنة ١٦٠٠ ، « كانتيباي » Kantibai التي أصبحت ، فيما بعد ، اللقب الوراثي لزعماء بيت ابرهه . فيما كان زعيم بيت اشحقن يحمل ، حتى زمن قريب ، لقب « مسلني » Meslenie الأكثر تواضعاً ، حين استبدله بلقب كانتيباي .

كذلك استبدل المنسع معتقدهم الديني الأساسي ـ المسيحي القبطي ـ بالإسلام . ولا يزال يوجد أقلية قبطية في القبيلة ، يعيشون عند الحدود مع الحماسين ، كما لا يزال بعض أفراد القبيلة يتكلمون التجرينية ـ لغة الاقباط الاريتريين ـ بدلاً من التجري لغة القبيلة . وهناك حوالي ألف من أبناء القبيلة ، اعتنقوا المسيحية البروتستانتية على يد بعثة التبشير السويدية .

يمارس المنسع الزراعة ، ويستقرون في قرى صغيرة ، ولذلك يقوم نظام الزعامة عندهم على أسس الادارة الاقليمية .

بيت جوك : قبيلة صغيرة ، يناهز عددها ٤٠٠٠ نسمة . يقال انهم يتحدرون من العناصر التي تتكلم التجرينية على الهضبة . وحتى في هذا التجمع الصغير ، نجد نظام التقسيم الطبقي عينه ، نبلاء يعرفون باسم « شوماغاله » ، وارقاء يعرفون باسم « سبميدر » (Sebmider) . تدين هذه القبيلة بالإسلام ، وتمارس الزراعة ، وتعيش في مراكز سكنية مستقرة ، يتألف أكثرها من قرى صغيرة ، تحيط بقرية كبيرة واحدة هي « وازنتت » . وكما هو الحال مع سائر القبائل المتحضرة ، يقوم التنظيم السياسي هنا على أساس السلطة الاقليمية ، ويرأسه زعيم القبيلة الذي يحمل أيضاً رتبة « كانتيباي » .

هـ ـ القبائل الشمالية :

ـ بيت اسجدى (Asgede) : تعتبر قبيلة الحباب ، التي يبلغ عدد

أفرادها حوالي ٢٥ ألف نسمة ، أكبر القبائل الشمالية ، وتجمعها مع قبيلتي عد تكليس (١٠ الاف نسمة) ، عد تماريام (٧ الاف نسمة) ، وحدة الانتساب الى جد واحد هو اسجده Asgede . وبالرغم من ان هذا الواقع يجعل القبائل الثلاث تبدو وكأنها فروع لقبيلة واحدة ، نرى انه من الأنسب إعتبارها ثلاث قبائل منفصلة ، لأنها تمارس اليوم حياة مستقلة في مناطق محددة ، ولكل منها ادارتها السياسية الذاتية وزعيمها القبلي الخاص .

يقال أن اسجدى المؤسس شبه الاسطوري للقبائل الثلاث ، عاش في القرن السابع عشر ، وأنه يتحدر من تجمع قبلي معروف باسم « تسيندقلى » (Tsenadegle) في اكلى غوزاى على الهضبة ، ويشكل اليوم وحدة اقليمية . وتجدر الاشارة الى ان جماعة تسيندقلي تعرف هذا التقليد ، كما يعرفه أحفاد اسجدى ، المتواجدون في كرن وتلال نقفه . غير ان هذه التجمعات الأخيرة فقدت لغتها الأصلية ـ التجرينية ـ وأصبحت تتكلم اليؤم لغة ارقائها التجرى . ونجد أنفسنا ، هنا أيضاً ، أمام مجموعات مهاجرة ، تحوّلت الى ارستوقراطية قبلية ، وبسطت نفوذها وسلطتها على جماعات من الارقاء والعبيد المعتقين . وفيما تعرف القبائل الثلاث باسم « بيت اسجدى » الجماعي ، تعرف الطبقة الحاكمة باسم « تونو » او « شوماغاله » . ويطلق الاسم الاول على الذين يجمعون بين الوضع الإجتماعي المميز والثروة ، ويمسكون ، بالتالي ، بزمام السلطة الحقيقية . أما كلمة « شوماغاله » ، فأصبحت تعني الارستوقراطية التي افتقرت ، أي أولئك النبلاء الذين أصبحوا بدون ثروة ولا سلطة .

يدّعي الحباب أنهم يتحدرون من الإبن الأكبر لأحدهم ويدعى مافلس Mafles ، بينما يقول عد تكليس انهم من ابنه الثاني ، فيما يدّعي عد

تيماريام انهم من الشقيق الأصغر من مافلس نفسه . وتنقسم كل قبيلة الى عدد من التجمعات العائلية المعروفة باسم « هيسة » . ويحمل زعماء القبائل الوراثيون وزعماء التجمعات العائلية لقب « شوم » فيما عدا زعيم قبيلة الحباب الذي يحمل اللقب الاثيوبي القديم «كانتيباي » .

كانت قبائل اسجدى ، في الأساس ، مسيحية قبطية ، بينما كان رعاياها التجري يدينون بالإسلام . ومع الزمن اعتمد الحكّام دين رعاياهم ولغتهم .

الحباب وعدتيماريام هم من الرعاة البدو ، يملكون ثروة كبيرة من المواشي ، ويعيشون في مضارب متنقلة ، مؤلفة من خيام وأكواخ مصنوعة من القصب . يقودهم نزوحهم الموسمي في فصل الشتاء حتى الشاطئ ، وأحياناً باتجاه الشمال حتى داخل السودان . ويحافظ الحباب وعدتيماريام ، مع ذلك ، على مواقع تقليدية لمضاربهم ـ تشكل مراكز شبه دائمه للقبيلة المتنقلة ، وخاصة لكبار السن ، والنبلاء فيهم الذين هم أقل ترحالاً ـ في السهل وفوق التلال ، في الغينا ومابا ونقفه . وتمارس القبيلتان بعض الزراعة قرب المواقع القبلية . ويقوم تنظيمهما السياسي على أسس قبلية ، وتشمل سلطة الزعيم كل أبناء القبيلة حيثما قادتهم نزوحاتهم .

أما قبيلة عد تكليس الأكثر « جنوبية » ، فقد اعتمدت الزراعة على نطاق أوسع بكثير ، وهي تمارس اليوم حياة شبه حضرية . وكنا نقصد بصورة خاصة هذه القبيلة ، عندما أشرنا الى مجموعات استبدلت نمط العيش « الشمالي » بالنمط « الجنوبي » . وينفصل عد تكليس اداريا كذلك عن القبيلتين الشقيقتين ، لأنه ، في حين ألحقت الحباب وعدتيماريام بإقليم نقفه ، أُلحقت قبيلة عد تكليس بإقليم كرن ، الأقرب الى منطقة تواجدها . وينعكس التحول من الحياة البدوية الى الحياة الحضرية ، على النظام السياسي المطبق في قبيلة

عد تكليس ، حيث تحوّلت سلطة الزعامة تدريجياً من قبلية الى اقليمية .

عد شيخ : تقع منطقتهم بين مناطق الحباب في الشمال وعد تكليس في الجنوب ، ويبلغ تعدادهم حوالي ٩٠٠٠ نسمة . يدّعون نسباً عربياً ، ويعيدون أصل سلالتهم الى أحد شرفاء مكة المكرمة . وأما تاريخ تواجد القبيلة حيث هي حالياً ، فيعود الى حوالي خمسة أجيال (حوالي العام ١٨٠٠) . نسب القبيلة الشريف وقوتها ، جعلا العديد من التجمعات القبلية الضعيفة ، يتجمعون حولها ، ويصبحون بملئ ارادتهم عملاء للمهاجرين الجدد . وكان بين هذه التجمعات ، من كانوا في السابق ارقاء في بيت اسجدي . كما أنه يوجد بين ارقاء عد شيخ المعروفون أيضاً باسم « تجرى » عدد قليل كان في الأصل ينتمي الى بني عامر ، وهم يتكلمون اليوم لغتي البجّه والتجرى . وأما أسياد عد شيخ فيعرفون باسم « تونو » او « شوماغاله » كما هي الحال عند قبيلة الحباب ، وتأخذ الكلمتان عندهم أيضاً المعنى نفسه . وقد أدت العلاقات الوثيقة التي أقامتها قبيلة عد شيخ مع القبائل المجاورة ، الى فقدانها لغتها القديمة . كما أدى التزاوج مع أفراد تلك القبائل ، إلى إفقاد عد شيخ مميزاتهم العنصرية . (مع العلم أن أفراد قبيلة عد شيخ ينكرون حصول مثل هذا التزاوج) . وعلى مر الايام ، انقسمت القبيلة الى عدة فروع . وفيما نزحت الفروع المختلفة من عدة اتجاهات : شرقاً نحو السهل الساحلي ، وشمالاً الى طوكر في السودان ، وغرباً الى وادي بركة ؛ بقي الفرع المتحدر من الإبن البكر لجد القبيلة ، يعيش وحده على تلال نقفه . وتجدر الاشارة الى أن فرعي الغيداب وعد شيخ غارابيت اللذين يستوطنان حالياً السهل الغربي ، قد أصبحا تحت لواء بني عامر . ولكن ، بالرغم من ارتياح مختلف الفروع المنشقة من هذا الوضع ، فإن زعيم قبيلة عد شيخ الأم ، ينظر الى هذه الحال

بمرارة ، ولم يتردد في توجيه عدة نداءات الى الحكومة ، حتى تعيد الفروع المنشقة الى سلطته .

يعي أفراد قبيلة عد شيخ أهمية دورهم كقبيلة شريفة « مقدسة » ، ولذلك اشتهروا بتمسكهم بشؤون الدين ، وقد اشتهر أحدهم ، الشيخ محمد بن علي بتقواه وورعه ، فكرّمه الناس كوليّ ، وحوّلوا قبره ، قرب مصوّع ، بعد وفاته سنة ١٨٧٧ الى مقام مقدس ، ومحجة للمؤمنين . ومع ذلك ، فقد انتقل مركز ثقل الولاء الديني الذي كان لقبيلة عد شيخ ، الى عائلة الميرغني السودانية التي أصبح يدين لها بالولاء الديني معظم مسلمي اريتريا .

وجماعة عد شيخ من الرعاة الرحّل ، بالرغم من أن لهم ميداناً او ميدانين ثابتين في شيوا وافعبت ، يعودون اليهما ، ويقيمون مضاربهم بعد نزوحاتهم الشتوية . وتشكّل مدافنهم القريبة من هذين الميدانين الدليل الحسي على هذه الظاهرة الحضرية في طابع القبيلة البدوي .

ويعتمد عد شيخ نظاماً سياسياً قبلي الطابع ، ويخضعون لسلطة زعيم وراثي يسمى الناظر أو الشيخ .

ـ **عد طاورة ـ عد معلم ـ بيت معلا** : ثلاثة قبائل صغيرة ، يبلغ تعدادها مجتمعة ، حوالي ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ نسمة . وهي تدّعي ، على قدر من الصحة ، أصولاً عربية . تعيش قبيلتا عد طاورة ، وعد معلم في الشرق ، ناحية ساحل البحر الأحمر (الى حد ما داخل منطقة مصوّع) ، فيما تعيش قبيلة بيت معلا على التلال والسفوح غربي منطقة الحباب . وقد انضوت ، فروع منفصلة عن عد طاورة ، تحت سلطة الحباب وعدتيماريام ، فيما حافظت بقية القبيلة على استقلالها برئاسة زعيمها القبلي . وهكذا بقيت حال قبيلتا عد معلم

وبيت معلا . وفي أيام الغزوة المهدية ، أصبح أبناء قبيلة بيت معلا ، لفترة من الزمن ، ارقاء لبني عامر . ولا تزال ، حتى اليوم ، مجموعات صغيرة من بيت معلا ، تنتمي الى اتحاد قبائل بني عامر . وفيما كانت قبيلة بيت معلا ، لا تتكلم من قبل ، الاّ البجة ، لغة بني عامر ، فقد أصبحت تستخدم اليوم لغتي البجة والتجرى على السواء . وتمتاز القبائل الثلاث بأنها الوحيدة ، بين القبائل التي لا تتكلم التجرى ، التي لا تمارس التقسيم الطبقي في تركيبها الإجتماعي .

وتمارس هذه القبائل ، في أغلب الأحيان ، نمط عيش بدوي ، كما أنها تدين بالإسلام . وتدّعي قبيلة عد معلم التحدر من بحّاثة في الإسلام ، ولذلك كانت تمد قبيلة عدتيماريام بمدرّسي القرآن الكريم . يمارس أبناء هذه القبيلة اليوم ، بعض الزراعة وتجارة الملح الذي ينقلونه على ظهور جمالهم من شاطئ البحر الأحمر الى منطقة التلال .

ـ **الرشايدة** : يمثل الرشايدة آخر موجات الهجرة العربية التي لا يعود تاريخها لأبعد من عام ١٨٧٠ . وربما كانت هذه الهجرة الوحيدة التي يمكن تحديد تاريخها بدقة . وتشكّل الرشايدة المجموعة السكانية الوحيدة التي حافظت على لغتها وثقافتها ، وتحاشت التزاوج مع سائر القبائل ، والاندماج الحضاري معها . والرشايدة قبيلة صغيرة بدوية تماماً ، لا يزيد تعدادها على الألف نسمة. يملك الرشايدة ثروة كبيرة من الإبل والماعز . أما وسيلة عيشهم السابقة ، أي تجارة الرقيق ، فلم تعد اليوم سوى مجرد ذكرى من الماضي ، ونأمل في أن تبقى كذلك .

و ـ الاقاليم الحبشية :

عدد هذه الأقاليم أربعة وهي : دبريزينا Debresina ـ لاماشيللي Lamachelli ـ داكندو Dakandu ـ اديربا Adirba . وتقع عند حدود حماسين . يقاسم سكان هذه الاقاليم جيرانهم ، أبناء حماسين وسكان الهضبة الوسطى ، لغتهم وديانتهم ، والى حد كبير حضارتهم . يتكلم أبناء هذه الأقاليم التجرينية ويدينون بالمسيحية القبطية ـ ما عدا أقلية تحوّلت ، مؤخراً ، الى الكاثوليكية ـ وينتظمون في تجمعات عائلية تدعى « اندا » شبيهة بالتنظيم الاجتماعي لسكان الهضبة الوسطى . هذه الصلة الوثيقة بحضارة الهضبة « الحبشية » ، هي التي أعطت لهذه الاقاليم اسمها . عدد سكان هذه الأقاليم حوالي ٦٠٠٠ نسمة ، يعيشون مستقرين في قرى كبيرة ، يدير شؤونها زعماء محليون ، يعرفون باسم « شيكا » كما هي الحال في الهضبة الوسطى . في أقاليم دبريزينا اديربا ، وداكندو ، تحمل القرية عاصمة الاقليم ، اسم الاقليم نفسه . أما لاماشيللي ، الاقليم الرابع ، فليس فيه أية قرية تحمل اسمه ، بل ان أكبر قراه تحمل اسم ماديش عدى Maddish Adi .

قبل الحكم الايطالي ، كان كل من الأقاليم الاربعة يتمتع بالحكم الذاتي ، برئاسة زعيم يحمل لقب « شومونيا » . وفي اقليم دبريزينا ، كان الدير الشهير ـ الذي يحمل الاسم نفسه ، والذي لا يزال قائماً ـ يملك كل أراضي الاقليم ، ويمارس على سكانه السلطتين الزمنية والروحية معاً . وتحت الحكم الايطالي فقد الدير ملكيته للأراضي ومعها سلطته الزمنية على السكان .

حافظت هذه الاقاليم على استقلالها الذاتي حتى سنة ١٩٣٢ ، حيث عمد الايطاليون الى توحيدها تحت سلطة زعيم واحد يحمل لقب « مسلينيه » ، مع الاحتفاظ بالزعماء المحليين « الشومونيا » . وتجدر الملاحظة هنا ، الى ان

« شومونيا » هو اللقب القديم الذي كان يحمله الزعيم الاقليمي في الهضبة ، وقد استبدله الايطاليون بلقب « مسلينيه » الأكثر عصرية . وهكذا تكون الأقاليم الحبشية ، وهي فروع من التجمعات المتواجدة على الهضبة قد حافظت على احدى ميزات الثقافة الأم التي زالت في مسقط رأسهم .

٤ ـ السهل الشرقي

أ ـ الأرض والسكان

لسان الهضبة الوسطى الذي يكاد يصل الى شاطئ البحر ، في مصوّع وخليج زولا ، يقسم السهل الساحلي الى نصفين . هذا السهل يمتد ، من جهة اخرى ، حتى الحدود السودانية ، عبر الجزء الشمالي الشرقي من مديرية كرن . أما السهل فيحمل في أقصى الشمال اسم الساحل ، ثم يصبح اسمه « السمهر »في الوسط الشمالي . وأما في الجنوب حيث يمتد السهل الى الجنوب والجنوب الغربي ، داخل الحبشه (اثيوبيا) حتى حدود الصومال « الفرنسي » ، فيتخذ اسم ساحل الدناكل .

ويحدد هذا التقسيم الجغرافي للمنطقة الاطار العرقي لسكانها . فالشمال القليل الكثافة السكانية ، يبدو ، مع ذلك ، غنياً بالتشعبات العنصرية ، ونلتقي هنا ، على الأغلب ، بفروع صغيرة ، منشقة ، هي في أكثر الاحيان ، فروع لقبائل وعناصر كبيرة ومبعثرة ، بين التلال السفحية والسهل . وسكان هذه المنطقة هم موسميون ، الى حد بعيد ، بحيث أن أجزاء واسعة منها تصبح شبه خالية ، عندما يبدأ النزوح الصيفي نحو الجبال . أما القسم الجنوبي من السهل فتسكنه قبيلة الدناكل الكبيرة ، وهي تمد سيطرتها بقدر امتداد السهل الذي أعطته اسمها .

ويشكل اللسان الجبلي بحد ذاته ، منطقة جغرافية وعرقية ، تتخذ من تلال السفوح قاعدة لها . فهو موطن مجموعات عديدة ، بعضها حضري والآخر بدوي ، ينتقل إلى الجبال في فصل الصيف لرعي مواشيه أو للزراعة . ونلتقي في قندع ، على الجانب الشمالي من الجبال ، بمزارعين من اقليمي الهضبة : صنعدقلى TSENADEGLE ، وانجانا ENGANA ، فيما نلتقي على الجانبين الشرقي والجنوبي بثلاث قبائل كبيرة من اكلي ـ غوزاي هي : الاساورتة ـ منفرى ـ حزو .

تتبع تلال قندع سياسياً مديرية مصوّع ، فيما يتبع اللسان الجبلي والامتداد الساحلي التابع له ، مديرية اكلى ـ غوزاي . وهكذا يشكل هذا الحاجز الجغرافي الطبيعي ممراً ، عبر مديرية مصوّع ، يمكّن قبائل اكلى ـ غوزاي من الوصول الى الشاطئ ، دون الحاجة لاجتياز حدود مديرية مصوّع .

والانتقال الدائم بين السهل والجبال الذي يميز حياة قبائل هذه المنطقة ، يجعل من الصعب التقرير ، ما إذا كان يجب اعتبار هذه القبائل جبلية أم سهلية ، وبالتالي ما اذا كان علينا أن نعالج وضعها في هذا الفصل ، أم في الفصل المخصص للهضبة الوسطى ، أو ذاك المتعلق بالتلال الشمالية . والسبب في هذه الحيرة ناتج من كون هذه القبائل تكاد تقسم وقتها مناصفة بين السهل والجبل . كما أن التمييز على أساس العنصر والسلالة لا يساعد كثيراً على اعطاء أي ضوء مرشد ، لأن للعديد من المجموعات التي نلتقي في السهل ، قبيلة أم ، أو مجموعات تربطها بها وشائج القرابة ، متواجدة على الهضبة والتلال . غير أن هذا التمييز يصبح سهلاً في الاطار السياسي ، لأن « الانتماء » القبلي يتم ، عادة ، حيث تدفع الجزية . وهذا التمييز ليس اصطناعياً أو اعتباطياً ، لأن دفع الجزية أو الضريبة يعكس ، لدى كافة القبائل الاريترية ،

الشعور بالانتماء القبلي . ويعكس هذا الشعور وضع الناس أنفسهم ، لا فرق ، في ذلك ، بين الذين يعتبرون أنفسهم جبليين ، أم ساحليين ، وأولئك الذين يعتبرون التلال أو السهل بيتهم الحقيقي . ولذلك كان هذا هو المقياس الذي اعتمدناه في دراستنا . وبموجبه تصبح قبائل اللسان أو الممر الجبلي عبر الساحل ، « منتمية » الى حيث تنتمي سائر قبائل اكلى ـ غوزاي والهضبة الوسطى .

تملك قبائل السهل الساحلي الشرقي الصحراوي البدوية ثروة كبيرة من المواشي ، ولكن أرضها الرملية القاحلة ، تعجز عن أن تحقق لأصحابها الإكتفاء الذاتي في الزراعة . فهي لا تنتج ما يكفي حاجات سكانها الأصليين من جهة ، وليست متسعة كفاية لإحتضان المجموعات التي تنزح اليها موسمياً من الداخل في الهضبة والتلال . منطقة قندع وحقول « شعب » على حدود نقفه ومصوّع ، تشكّل وحدها مراكز انتاج زراعي له أهميته ، الاولى بالنسبة للمزارعين الموسميين الذين يقصدونها من الهضبة ، والثانية بالنسبة لقبائل المنسع وعدتيماريام من مديرية كرن . ولكن السهل الساحلي على ضيق مساحته يشكّل ، بفضل موانئه ، سوقاً مهمة لتجارة ترانزيت الحبوب وسائر السلع الواردة من اليمن . وتصل المؤن الواردة من الخارج ، الى اريتريا الوسطى والجنوبية . عبر عدة طرق أهمها : الطريق الرئيسية الى اسمره ، طرق القوافل المتعددة الى التلال الشمالية والى اكلى ـ غوزاي في منطقة الهضبة الوسطى .

ب ـ الدناكل :

يعد الدناكل في اريتريا حوالي ٢٠ ألف نسمة ، ويشكلون الجماعة النموذجية لأبناء السهل . وهم ينتمون ، أساساً ، الى مجموعة الشعوب

الحامية ، ولكن ميوعة تنظيم القبيلة وليونته ، الذي يشكل اطاراً سياسياً أكثر منه عرقياً ، أتاح لها أن تقبل في صفوفها خليطاً كبيراً من المجموعات العنصرية الأخرى . وقد شكّلت وحدة اللغة ـ الدنكلية ـ ووحدة الدين ـ الإسلام ـ وأكثر من أي شيئ آخر ، الخوف الذي عمره قرن ، من اعتداءات الأحباش المتكررة عليهم ، عناصر مهمة جداً في توحيد هذه المجموعات المختلفة الأصول ، وتقوية الروابط العضوية فيما بينها . تتفرع قبيلة الدناكل الى العديد من الفروع العشائرية والتجمعات العائلية ، وتنقسم الى طبقتين اجتماعيتين : طبقة عسى مرا (الرجال الحمر) الحاكمة ، وطبقة الارقاء المعروفة باسم « عدومرا » (الرجال البيض) . ووفقاً للتقليد فإن جماعة الطبقة الحاكمة هم الذين غزوا جماعة الطبقة الأخرى وفرضوا سلطتهم عليها ، وهكذا نجد أنفسنا مرة اخرى ، أمام غرباء يحكمون شعوباً محلية . هذا مع الاشارة الى أن التقسيمات العرقية والاجتماعية والقبلية متمازجة هنا ، بحيث اننا نجد الفرع القبلي « داموهيتا Damoheita يضم في صفوفه عناصر من الطبقة الحاكمة والارقاء على السواء ، في حين ان فرع « داهميلا » Dahimela ، لا يضم سوى أرقاء غير مرتبطين بأي أسياد ، مما يجعلهم في الواقع ، أسياد أنفسهم . ونلاحظ أخيراً ، أن طبقة الارقاء تضم العديد من المجموعات ذات الأصول الغريبة ، انضمت الى الدناكل عن طريق الانتماء السياسي ، أو الإخضاع .

تمارس الطبقة الحاكمة عند الدناكل سلطتين سياسية واقتصادية معاً . وتفرض التقاليد أن ينتمي زعماء القبيلة وفروعها وتجمعاتها العائلية الى طبقة « عسى مرا » . وتربط هذه التقاليد ذاتها ، اللقب بالأرض ، وتعطيه امتيازات اقتصادية معينة . فعلى سبيل المثال ، الاسياد والارقاء الذين نالوا حق الحكم

الذاتي ، وحدهم لهم حق الرعي في أراضٍ معينة . فالأرقاء لهم حق امتلاك المواشي ، ولكنهم لا يملكون حق امتلاك المراعي اللازمة لرعي هذه المواشي . وهكذا يبقى على الارقاء أن يتحركوا وراء أسيادهم ، بدون أرض ، وبدون حرية ، لأن حق استخدام المراعي مرهون بخضوعهم لطبقة الاسياد . ومتى رغبت مجموعة من الارقاء ، في الانتقال الى مناطق جديدة ، عليها الحصول مسبقاً ، على موافقة أسياد هذه الأرض ، واعلان الخضوع لسلطتهم السياسية ، طوال مدة اقامتهم في هذه الأرض .

وتجدر الملاحظة الى أنه ، في حين يبلغ تعداد طبقة الأسياد حوالي ٥٠٠٠ نسمة ، يرتفع تعداد طبقة الارقاء على اختلاف تجمعاتهم الى ثلاثة أضعاف هذا العدد . هذا التفاوت العددي ليس نادراً في مثل هذه المجتمعات الطبقية . ولكن من أبرز نتائج هذا التفاوت هنا ، كما في سائر المجتمعات المماثلة ، انه يضعف قبضة الطبقة الحاكمة ، ويتيح للارقاء أن يحققوا استقلالهم السياسي ، إن لم يكن الحصول على الاعتراف بهم أعضاء في الطبقة الحاكمة نفسها .

وهذه الآن لائحة بفروع قبيلة الدناكل المقيمة في اريتريا ، وقد أستثنينا منها تلك التي تقيم في اثيوبيا :

- **داموهيتا** Damoheita : يبلغ تعداد هذا الفرع حوالي ٤٠٠٠ نسمة ، يتوزعون على طول الساحل بين عصب ، وشبه جزيرة بوري . وقد سبق وأشرنا الى كونها تضم مجموعات في الأسياد والارقاء . ويشير الاسم القبلي ، أكثر من أي شئ آخر ، الى الطبقة الحاكمة التي تدّعي (ربما بدون أي اثبات مهم) انها من سلالة الدناكل الصافية . أما الارقاء فهم مجموعات من أصول متعددة ومنسية نسبياً ، يعيشون مع الداموهيتا ، وقد اندمجوا

كلياً بالقبيلة السيدة .

ـ **عسى برا ـ النصال ـ عفر** : وهي ثلاث مجموعات صغيرة لا يكاد تعدادها يتجاوز الألف نسمة ، بالاضافة الى أفراد الطبقة الحاكمة ، يقيمون مع مجموعات أرقائهم في « بيلول » شمالي مدينة عصب .

ـ **الداهميلا** : يشكلون مجموعة قوية ، يزيد عدد أفرادها على الخمسة الاف نسمة من الارقاء الذين حققوا استقلالهم السياسي ، وتوصلوا لأن يخضعوا لسلطانهم ، ويضعوا تحت حمايتهم مجموعات أخرى ضعيفة . وهكذا أصبح لهذه القبيلة المؤلفة من أرقاء سابقين أتباع لهم وضع الارقاء . يتواجد الداهميلا في الجزء الغربي من سهل الدناكل ، قرب بحيرات عصب المالحة ، وفي منطقة « بدّا » .

ـ **الحضارم** : مجموعة حضرامية الاصل (من حضرموت في الجنوب العربي ـ المترجم) تعدادها حوالي ٣٠٠٠ نسمة ، منتشرة في مختلف أنحاء السهل . ولكنها ، بالرغم من تعدادها ، لم تتمكن من تحقيق وحدتها السياسية ، فتوزع أبناؤها ، كأرقّاء ، على مختلف فروع الداموهيتا خاصة ، فيما التحقت أقلية منهم بالداهميلا .

ـ **البللسوة** Bellesuwa : يبلغ عددهم حوالي ١٠٠٠ نسمة ، أصلهم عربي ، يدّعون انهم جاؤوا من اليمن . يتواجدون بين نهر عندلي وشبه جزيرة بوري . ويتمتعون (اوصاروا يتمتعون) بالحكم الذاتي سياسياً ، بالرغم من انهم يعتبرون من أصل غير دنكلي ، وليس لهم بالتالي سوى الوضع الطبقي للأرقاء .

ـ **الدونّة** : مجموعة صغيرة اخرى من أصل عربي ، تقول انها جاءت من الحُديدة في اليمن . تعدادها لا يتجاوز ٤٠٠ نسمة ، ولذلك خضعت ، في الأصل ، لفرع البللسوّة كأرقاء في خدمة أرقاء أقوى منهم . وتقاسم الدونّة مع أسيادهم الأراضي الزراعية الواقعة حول تلال ديمور عند قاعدة شبه جزيرة بوري . ومع ارتفاع عددهم ـ نسبيا ـ تمكن الدونّه من تحقيق استقلالهم الاجتماعي ، في بادئ الأمر ، ثم حققوا استقلالهم السياسي ، فيما بعد ، عام ١٩٠٧ .

ـ **انكاله** Ankala : يبلغ عدد أبناء هذه المجموعة ٧٦٠ نسمة ، يتحدرون من سلالات متعددة . وبالرغم من انهم حققوا ، منذ زمن بعيد ، استقلالهم الذاتي سياسياً ، فقد بقي لهم وضع طبقة الارقاء ، حتى اليوم . يعيش بعض جماعات هذه القبيلة قرب عصب ، في حين يقيم معظمها غربي جزيرة بوري .

ـ **هواكل** :Hawakil : اسم لجزيرة وخليج يقعان جنوب شرقي شبه جزيرة بوري ، يعيش فيهما مجموعة صغيرة من الصيادين ، يتراوح عددهم بين ١٥٠ و ٢٠٠ شخصٍ . حملوا اسم الجزيرة والخليج ، بعد ان فقدوا اسمهم القبلي الأصلي . وقد كانوا أرقاء لداموهيتا بوري ، وحصلوا على حكمهم الذاتي أيام الحكم الإيطالي .

ـ **الجديمتو** Gedimto : يروى أنهم جاؤوا من « بعادا » BAADA ، الواقعة في أقصى الجنوب الغربي لسهل الدناكل ، داخل الأراضي الاثيوبية . يقيم قسم صغير منهم ، لا يتجاوز أفراده الخمسين شخصاً ، قرب بحيرة

جيوليتا Guilita ، كأرقاء للداموهيتا .

ـ **الشيخا** :SHEKA : مجموعة متفرقة كثيراً ، تعدادها حوالي ٥٠٠ نسمة ، تدّعي التحدّر من سلالة النبي (صلعم) ، وتطلق على نفسها اسم « قبيلة الشيوخ » ، ولذلك اعتبرت من أصل النبي . ولكن الشيخا غير موحّدين سياسياً ، بل يعيشون مبعثرين بين سائر فروع الدناكل . وقد ارتبط فرع صغير منهم بداموهيتا ـ بوري كأرقاء .

ـ **الصومالي** : مجموعات صومالية الأصل ، تعيش على جزيرة « باقا » وفي خليج هواكل . وقد بقي الصوماليون ، رغم مرور ثلاثة عقود على وصولهم الى موطنهم الحالي ، مرتبطين بزعمائهم في وطنهم الاول . ولكن الروابط التي كانت تجمعهم بالقبيلة الام اضمحلّت ، واندمج المهاجرون بأمة الدناكل التي أصبح لهم فيها مرتبة الفرع القبلي المتمتع سياسياً بالحكم الذاتي رغم بقائه اجتماعياً بوضع الارقاء .

ـ **عدومارا** : الى لائحة الفروع القبلية التي أوردنا ، لا بد من إضافة أقسام صغيرة مفتتة من عدومارا (طبقة الارقاء) التي تناهز ١٥٠٠ نسمة تقريباً ، فقدوا هويتهم القبلية ، نتيجة تفككهم ، وخضوعهم لمدة طويلة الى مجموعات الدناكل الحاكمة ، وعاشوا كمجموعات ارقاء أقارب بدون اسم عائلي يميزهم .

يشكّل الدناكل ، بصورة عامة ، مجموعة من الرعاة البدو ، ولذلك تتكوّن ثروتهم مما يملكون من أبقار وماعز وابل وأغنام . ويفرض عليهم نمط عيشهم أن يقصروا نزوحاتهم على المناطق التي يتوفر فيها المرعى لمواشيهم .

ولذلك يقتصر نزوح مالكي الأغنام والابقار على شبه جزيرة بوري الغنية بالمرعى ، في حين أن مالكي الابل والماعز ، الذين هم أقل اعتماداً على المرعى الموسمي ، يذهبون الى مناطق بعيدة ، تصل أحياناً الى أعماق أثيوبيا .

هذا التحرك المحدود لمالكي الماشية من أبناء الداموهيتا ، نجد التعبير الأفضل عنه في الاسم الذي أصبحت تعرف به الفروع القبلية . ذلك أن هذه الاسماء ربطت بين الاسم القبلي واسم المكان الذي اتخذه هذا الفرع لإقامته . فهناك مثلاً الداهوميتا ـ بوري ، أو الداهوميتا ـ عد Edd . وهناك فرع صغير من الدناكل اعتمد الزراعة ـ ربما كانوا من المهاجرين ـ واستقر في بدّا BADDA . بينما امتهنت مجموعات صغيرة اخرى الصيد واستقرت عند شاطئ البحر الأحمر ، الى جانب مجموعات الداهميلا الذين يعملون في استخراج الملح من ممالح بردولى .

وتنتشر في السهل دساكر صغيرة مؤلفة من بيوت بسيطة فقيرة الصنع ، من النادر أن يزيد عدد عائلاتها عن ١٠ الى ٢٠ عائلة . وما كان يقوم منها حول الآبار ، كان يصبح مقراً للزعماء ، وبيوتاً لكبار السن ، ومراكز شبه دائمة لهم ، في نزوحاتهم القبلية . وهناك عدد قليل من القرى ، أكبر حجماً مثل : طيعو ، بدّا ، معدر ، عدّ ، تدين بنموّها الى الأهمية التي اكتسبتها مؤخراً كأسواق وموانئ ومراكز للشرطة ، والادارة .

ويتولى اليوم عدد من الزعماء ادارة شؤون مختلف فروع القبيلة ، وجمع الضرائب والجزية للحكومة . ولا نعرف سوى القليل عن النظام السياسي التقليدي عند الدناكل ، وهو يبدو كأنه يقوم على تقسيم أساسه تجمعات القرابة بدلاً من الفروع القبلية أو العشائر . وربما كان الزعماء القبليون رؤساء للتجمعات العائلية ، أكثر مما كانوا زعماء سياسيين . ولم نعثر على أثر ـ او

انه لم يعد موجوداً ـ لزعامة سياسية أقوى من ذلك أو أكثر شمولاً ، باستثناء ولاء ، غير واضح المعالم ، يربط هذه القبيلة بسلطان اوسا في اثيوبيا .

ج ـ المجموعات الشمالية

السهل :

في الماضي ، استهوى سهل السمهر العديد من القبائل والفروع القبلية المتواجدة شمال وغربي اريتريا . وهو لا يزال الى اليوم يجذب هذه العناصر في نزوحات موسمية . وكان تاريخ مصوّع المضطرب الى حد ما ، سبباً بحدوث تنقلات سكانية داخل السهل نفسه . وأدّت الهجرة من بلاد العرب ، وحرية التزاوج بين التجمعات السكانية ، الى زيادة تلوين الفسيفساء ، المتكوّنة من العناصر العرقية المتنوعة المتواجدة في السهل .

غير أن هذا التنوع العرقي ، طغت عليه عوامل توحيد مهمة ناتجة عن العادات ، وأنماط العيش والتنظيم الاجتماعي ، والمعتقدات والثقافة . فجميع سكان السهل يدينون بالإسلام ، وأكثر من نصفهم يتكلم التجري ، فيما يتكلم الباقون العربية والساهو ، وأقلية منهم تتكلم الدنكلي أو الصومالية . ولكن التقسيم الطبقي السائد عند الدناكلة ، أو في التلال الشمالية ، لا وجود له في قبائل السمهر ، وحتى بين الفروع القادمة أصلاً ، من تلك المناطق . مع العلم ان هؤلاء المهاجرين كانوا من الارقاء ، تكيفوا بسهولة مع نظام المنطقة الجديدة « الديموقراطي » . عدد قليل فقط ، من قبائل السمهر ، يمارس حياة الحضر ، ويتجمع في مدن مصوّع وحرقيقو وبعض القرى المنتشرة في أنحاء السهل . أما سائر تجمعات السمهر فمن البدو الرعاة بالرغم من أن أكثرهم

يمارس الزراعة بنسب متفاوتة . خلال أشهر الشتاء تقيم قبائل السمهر في مضارب من الخيم أو أكواخ القصب المغطاة بالجلد أو الحصير . ويمارس أفرادها الزراعة ، بصورة خاصة على طول الأنهر القليلة التي تصب في البحر الأحمر . وبسبب اعتمادهم أساليب زراعية بدائية تقوم على الخزانات والأقنية ، يستغل فلاحو السمهر ، الفيضانات الموسمية لري مزروعاتهم . وخلال أشهر الصيف ، عندما تجف مياه الأنهر ، يعود الجميع الى حياتهم الرعوية .

يقوم التنظيم السياسي لهذه القبائل على نموذج مشترك ، لكل قبيلة بموجبه زعيمها أو شيخها المنتخب من بين رجالاتها النافذين والمتقدمين في السن . وهناك قبيلتان فقط تتبعان نظام الزعامة الوراثية ـ كما سنبين فيما بعد ـ . وليس لزعيم القبيلة الوراثي أم المنتخب ، نفوذ سياسي يذكر ، فلزعامته حدود متواضعة ، تواضع حجم المجموعة التي يتزعمها ، ولعل ضآلة البدل الذي يتقاضاه الزعيم ، هو أبلغ تعبير عن تواضع شأنه السياسي .

ـ **البللو** : انها القبيلة الوحيدة بين مجموعات السمهر التي بنت لنفسها شأناً سياسياً خاصاً . يتحدر البللو من سكان البلاد الأصليين ، ومن حكام بني عامر السابقين الذين نزحوا الى السهل الساحلي ـ بعد أن فقدوا السلطة في بلادهم ـ . وقد أصبحوا هنا من الحضر ، واعتمدوا لغة التجري ، واستقروا في حرقيقو ومصوّع ، وفي قرى حطملو ، ام كلو ورام بيرمى ، وزاغا . واكتسبت القبيلة أهميتها السياسية في عهد الاحتلال العثماني لمدينة مصوّع ، عندما تولى ، أحد أبناء احدى عائلات البللو الغنية والقوية ، منصب (نايب) نائب الحاكم العثماني . وفيما بعد ، قامت عائلة قوية أخرى ، تتمتع هي أيضاً بحماية الحكام الأجانب ، بمزاحمة العائلة الاولى على منصب « النايب » .

ومع الوقت أصبح هذا المركز وراثياً في العائلتين اللتين تقاسمتاه دورياً . وانقسمت القبيلة نفسها الى فرعين ، يتبع كل منهما احدى العائلتين ويحمل اسمها وهما : بيت حسن وبيت عثمان . وقد حافظ البللو على سلطانهم ـ ودعّموه ـ بوضع رجالاتهم في مراكز القيادة ، وتكليفهم بجمع الضرائب ، وايفادهم في بعثات دينية ، او ارسالهم كتجار الى التجمعات المسلمة في السهل . وتمكنوا من أن يمدوا نفوذهم السياسي والاقتصادي حتى الى الهضبة القبطية . واستطاع أحد أبناء القبيلة ، أيام الحكم المصري ، أن يصل الى رتبة سردار (قائد) القوات المصرية في مصوّع . ولا تزال عائلته الى اليوم معروفة باسم « بيت السردار » (بيت سردال) . ووضع البللو تنظيماً فعّالاً لقبيلتهم وارقائها وشركائها وعملائها ، وجنّدوا كل من يستطيع حمل السلاح من الرجال في زمر مسلحة غير نظامية ، جعلوا قيادتها وراثية في فرع آخر من هذه القبيلة المقدامة . وأصبح هذا الفرع يعرف باسم « بيت كيكيا » نسبة الى اللقب التركي ربما ، الذي كان يحمله قائد هذه الزمر . ولا يزال نفوذ عائلة النايب وشقيقتيها كبيراً الى اليوم ، حيث يحتل أبناؤها مراكز نافذة في الحياة السياسية والإقتصادية في مديرية مصوّع .

ـ **افلندا** : تتحدر هذه القبيلة من البجة والهدنروة . وكانت فيما مضى جزءاً من بني عامر ، بصفة ارقاء ، على ما يبدو . وعندما تمكن الافلندا من التخلص من سيطرة بني عامر ، انتقلوا الى الشرق ، وأقاموا في السهل الساحلي . وهم اليوم يعدون حوالي ٢٥٠٠ نسمة ، يتكلمون لغة التجري ويجمعون في شمالي السهل ، بين الزراعة الموسمية والحياة الرعوية . ولكن نزوحاتهم لا تقودهم الى أبعد من التلال السفحية في الغرب . وتنقسم هذه القبيلة ، رغم صغر حجمها ، إلى ثلاثة فروع قبلية هي : نصر الدين ـ عد ايغل ـ

عد حباباي . وهذا الفرع الأخير يقيم على تلال قندع السفحية ، وليس في السهل الساحلي .

ـ **مسحليت** : تعد هذه القبيلة حوالي ١٦٠٠ نسمة ، وهي تتألف من مجموعات متعددة الأصول : اساورتا ـ عد طاورة ـ عرب ـ دناكل ... وأصبحت القبيلة كلها تتكلم اليوم لغة التجري ـ وتبقى نزوحاتها الموسمية ضيقة النطاق ، فيما أراضيها الزراعية في حوض نهر وقيرو هي أوسع من أراضي سائر القبائل في المنطقة .

ـ **قبائل من التلال الشمالية** : على طول السهل الساحلي ، وخاصة في الشمال ، حيث يبدل السهل اسمه من سمهر الى ساحل ، نلتقي كذلك ، بقبائل اخرى ، سبق لنا التعرّف اليها ، تضم مجموعات مهاجرة ، أو فروع قبائل من التلال الشمالية مثل : عد شيخ ـ عد طاورة ـ عد معلم ـ الحباب ـ والرشايدة . ويقارب عدد مجموعات عد شيخ والحباب ، الألف شخص تقريباً ، يمارسون الزراعة على نهر وقيرو في السمهر ، خلال أشهر الشتاء . كما اننا نلتقي أيضاً بجماعات من عد شيخ وعد معلم ، وبصورة أقل ، من الرشايدة ، على تلال قندع .

الجزر : بقي أن نقول كلمة عن سكان الجزر المواجهة لشاطئ مصوّع والتي يزيد عددها على المائة . ولكنه لا يوجد مستوطنات دائمة إلا في عدد قليل منها . أهم هذه الجزر هي : دهلك ـ نخره ـ نورا ـ دحل ـ حارات ـ كوباري ـ داراكا ـ دينيفاريخ . يقارب مجموع سكان هذه الجزر الثلاثة الاف نسمة ، يتألفون من عناصر مختلفة ، وخاصة من العرب والدناكل والصوماليين . أكثرية هؤلاء السكان تعيش من الصيد ، والباقون يرعون الماعز

والابل ، ولا يوجد مكان للمزارعين بينهم . وكان لجزيرة نخره ، لفترة من الزمن ، أهمية خاصة ادارية ، بعد أن جعلها الايطاليون مركزاً لنيابة المقامية ، ثم حوّلوها الى مكان لنفي المتمردين السياسيين والزعماء الثوريين .

د ـ المجموعات الشمالية

التلال السفحية

تنفصل هذه المنطقة ادارياً عن السهل الساحلي ، لأن التنظيم السياسي ضم هذه المنطقة مع الحاجز الجبلي (لسان الهضبة) الى نيابة مقامية قندع ، فيما ضم سهل السمهر الى اقليم مصوّع . وأما لجهة الهضبة في الغرب ، فإن الحدود الادارية لناحية قندع هي اصطناعية ، وتلتقي هذه الحدود ، لجهة السهل ، مع تقسيم عرقي بارز . فقد سبق لنا وأشرنا الى أن بعض قبائل السهل ، مدّت نطاق وجودها الى التلال السفحية . كما ان روابط النسب واللغة والدين هي وثيقة بين مجموعات السهل والتلال . غير أن الذي حصل هو أن أكثرية القبائل اختارت مناطق منفصلة لإقامتها . وهذا الإختلاف بين المناطق الجغرافية أدى الى تكوين عادات اقتصادية مختلفة بين السهل والتلال المجاورة ، عزّزت الفواصل الجغرافية بين القبائل . وبالفعل توجد منطقة صخرية فقيرة غير مأهولة ، تشكّل فاصلاً طبيعياً بين المنطقتين . وتضم التلال السفحية من جهتها ، هضبة فسيحة منفتحة ، تنعم ، بفضل مستواها المرتفع عن السهل الساحلي من جهة ، وبفضل قربها من جهة اخرى ، بحصة أكبر من الأمطار . ولهذا نلاحظ أن زراعة المنحدر الوعر هنا تعتمد على الأمطار وليس على الري ، كما هي الحال في السهل الساحلي .

كما أن المرعى الأكثر غنى بالأعشاب ، يسمح هو الآخر بتربية أعداد أكبر من المواشي ، ويفتح لجهة الهضبة ، منافذ جديدة للنزوحات الموسمية .

بالإضافة الى هذه الفوارق في التقاليد الحياتية الاقتصادية ، ينطبق ما قلناه عن قبائل السمهر على قبائل التلال لجهة اللغة والدين والتنظيم السياسي والروابط العرقية ، غير أن هذه المنطقة شهدت تنوّعاً أكثر في المهاجرين ، بما في ذلك مجموعات تتكلم التجرينية تأتي سنوياً في أقاليم الهضبة الى مزارع قندع ومراعيها . وفي هذه المنطقة أيضاً ، نلاحظ أن الحدود السياسية تعكس الفوارق العنصرية بين السكان . فالحدود بين قندع ومصوّع تشكّل الحاجز الذي يحول دون النزوح الموسمي لهؤلاء المزارعين باتجاه الشرق . كما أن وقوع مزارعهم في منطقتي دماس ، وعقمبا ، في النصف الجنوبي من قندع أدّى الى تحديد استعمالها . وفي سنة ١٩٣٨ حوّلت هذه المنطقة الى اقليم ، على صورة أقاليم الهضبة ، يديره زعيم اقليمي ، ينتمي الى مجموعات النازحين الموسميين ، ويجمع الى منصبه الاداري مهام « المعفري » او المشرف الزراعي . وتقتصر سلطته على المزارعين المسيحيين الوافدين من الهضبة ، دون القبائل المسلمة المقيمة في المنطقة أو التي تقصدها في نزوحاتها . ولا تقل سلطته الخصوصية عن طبيعة الإقليم نفسه الذي يبقى طوال نصف السنة بدون زعيم ، بل بدون سكان . وهذه هي القبائل المسلمة في منطقة قندع .

ـ **عدآها** : مجموعة صغيرة ، تدّعي الانتماء الى القبائل التي تتكلم الساهو ، مع أن لغتها اليوم هي التجري . وقد انضمت الى هذه القبيلة مجموعات صغيرة من فروع عرقية اخرى ، من التلال الشمالية مثل : عد شيخ ، والمنسع ، وبيت اسجدى . ومع ذلك لا يزيد عدد هذا التجمع كله عن ٤٠٠ نسمة

من البدو ، يتنقلون بين سهل عايلت والتلال الجنوبية من اقليم كرن .

عد شوما : أصلهم غامض ، تعدادهم حوالي ٢٥٠٠ نسمة ، يتكلمون التجرى ، ويجمعون بين الزراعة ورعاية المواشي . نزوحاتهم الصيفية تقودهم بعيداً عن مكان اقامتهم ، في سهل عايلت الى الحماسين ، والسراي على الهضبة .

ـ **عد عسكر** قبيلة صغيرة وفقيرة ، حوالي ٧٥٠ نسمة ، تدّعي أن أصلها من الساهو ، ولكنها تتكلم تجري . وهي تتحدر ، كما يشير اسمها من مجموعة جنود (عساكر) ، ممن حاربوا في خدمة عائلة النايب . تمارس هذه الجماعة الزراعة في سهل ايليت وجزئياً في سهل السمهر . وفي نطاق سعيها الموسمي وراء المرعى ، يصل أبناء هذه الجماعة في تحركاتهم حتى السراي على الهضبة . ويقوم نظامهم السياسي على أساس الزعامة القبلية الوراثية .

ـ **غدم سيكتا** (Gedem Sikta) : لهم أصول عدعسكر نفسها ، تعدادهم حوالي ٦٠٠ نسمة ، من فروع متعددة الاصول : ارقاء من البللو وعائلة النايب والاساورته والمينيفيري والدناكل ، من فرع انقالا . يتكلمون التجرى والزعامة عندهم وراثية محصورة في عائلةٍ واحدة ، أصلها من البللو . تمارس هذه الجماعة الرعي ، بصورة خاصة ، وتنتقل سعياً وراء المرعى الذي هو مصدر عيشها ، بين تلال غيندا ، وحافة الهضبة حتى السراي .

ـ **نابارا** : تتكوّن هذه القبيلة من عناصر عرقية متعددة ، يجمع فيما بينها وحدة اللغة التي هي التيجرينية يبلغ تعدادها حوالي ٨٠٠ نسمة تتوزعهم

حياة البداوة والحضر . فبعض أبناء هذه القبيلة ، استقروا كمزارعين على الهضبة في منطقة الحماسين ، بينما استمر البعض الآخر يتنقل بين غيندا وحافة الهضبة سعياً وراء المرعى .

ـ **واريا** : تعدادها حوالي ١٧٠٠ نسمة تقريباً ، يُعتقد انهم ينتسبون الى الهدنروة ويتكلمون التجرينية . أوضاعهم المادية مزدهرة ، ويمارسون الزراعة على نطاق ضيق ، فيما يتنقلون موسميا ، مع مواشيهم ، الى منطقة الحماسين على الهضبة ، او الى بلاد المنسع على تلال كرن .

ـ **تّرووا بيت موشه** (Terowa Beit Mushe) : يدَّعون صلة نسب مع المنسع والماريا على التلال الشمالية ، والسهو الذين يتكلمون الحزوفي الاكلي ـ غوزاي . تعدادهم حوالي ١١٠٠ نسمة ، يتكلمون التجرينية والسهو . بدويون يملكون ثروة كبيرة من المواشي ، ويسعون وراء المراعي الى مناطق تبعدهم كثيراً ، عن مقرهم في تلال اغامبوسا ، نحو الحماسين واتٔانا والسراي وأحياناً حتى مراعي التيجراي .

ـ **اديفير** (Iddifer) : قبيلة أخرى تتكلم السهو والتجرينية معاً . وهي تتحدر من « ايدا » (IDDA) التي هي جزء من الاساورته ، كما يتبين من اسمها القبلي . يبلغ تعدادها حوالي ٩٠٠ نسمة ، يمارس بعضهم الزراعة في اغامدا (agamedda) ، على تلال قندع ، فيما تمارس أكثريتهم حياة البداوة والرعي ، وينزحون مع مواشيهم موسمياً الى الحماسين والسراي .

هـ ـ القرى والمدن

لا وجود لمستوطنات دائمة في الساحل ، وما قام منها في السمهر وعلى

التلال السفحية هي : حطملو ، ام كلو ، ام بيرمـى ، زغا ، زولا ، أفتا ، عايلت ، قمهوت ، غسوس ، دماس ، وقندع . وهناك عدد أقل من القرى لا تزال تشكّل جزءاً من حياة البداوة في المنطقة وهي : عايلت (٧٠٠ نسمة) قمهوت (٤٠٠ نسمة) ، عسوس (٧٠٠ نسمة) وتقع كلها في اقليم قندع . ولكننا ، حتى في هذه القرى ، نلتقي بخليط من العناصر العرقية الغريبة : اساورته ، عد شيخ ، عد معلم ، عرب من اليمـن ، ومجموعات أخرى لم يعد من الممكن التعرف الى هويتها العرقية ، يشار اليها باسم المكان الذي تعيش فيه .

تنتمي آفتا وزولا (٣٠٠٠ نسمة) عنصرياً الى الاساورته ، وتسكنهما فئات حضرية من الاساورته ، انفصلوا منذ زمن طويل عن القبيلة الأم وعن حياة البداوة ، بالإضافة الى أقلية عربية يمنية وبعض جماعات السمهر .

أما حطملو ، وام كلو ، وزغا ، وام بيرمي التي يعيش فيها حوالي ٨٠٠٠ نسمة ، فتكاد تشكّل ضواحٍ لمدينة مصوّع ، وفيها خليط من العناصر على غرار المدينة الكبرى المجاورة لها .

ولا يزيد عدد سكان قرية دماس الدائمون عن ١٥٠ نسمة ، يرتفعون الى ثلاثة أضعاف في مواسم النزوح من مزارعي الهضبة . أما قندع التي لها حصتها من هؤلاء الوافدين ، فحديثة المنشأ ، ارتفع عدد سكانها الدائمين الى ٣٠٠٠ نسمة بفضل تحويلها الى مركز نيابة مقامية ، ومحطة للقطارات الحديدية ومركز تجاري .

تتكون المنازل في قرى السهل بمعظمها من أكواخ القصب البدائية الصنع ، تغطي سقوفها اكوام من القش ، وأحياناً صفائح التنك والألواح المعدنية . أما قرب مصوّع فتصبح المنازل جيدة البناء ، مصنوعة من الخشب .

كما عرفت المنطقة نمط البناء المديني ، حيث عمد بعض الزعماء وأثرياء التجار ، الى تشييد منازل عصرية لهم ، مصنوعة من الحجارة والاسمنت .

في مدينتي حرقيقو ومصوّع تظهر على نطاق أوسع ، صورة المزيج العنصري الذي يميز سكان السهل الساحلي . يبلغ عدد سكان مصوّع حوالى ١٠٠٠٠ نسمة ، وحرقيقو ٧٠٠٠ نسمة ، وهم خليط من مجموعات السمهر المتكلمة التيجري وقبائل التلال الشمالية ، والاساورته ، والعرب ، والدناكل ، والسوذانيين ، والافريقيين الغربيين والهنود ، والاتراك ، يتعايشون جنباً الى جنب في الاحياء المزدحمة في المدينتين . يتميز نمط حياتهم بالتنوع الذي نجده في مستوطنات الشواطئ والمدن الكبرى المزدهرة ، فيما يشكل الاسلام ، وسيطرة اللغتين العربية والتجري عناصر توحيد بين السكان .

حتى القرن السابع عشر ، كانت حرقيقو تحتل المرتبة الاولى في الأهمية بين المدينتين . وقد احتفظت بهذا المركز ، حتى بعد أن أصبحت مصوّع المدينة الأكثر ازدهاراً والمرفأ الأكثر أهمية ، لأن حرقيقو بقيت مقر « النايب » وهو الحاكم المحلي المعيّن من قبل السلطة العثمانية والمصرية . تاريخ مصوّع القديم غامض ، وقد ورد أول ذكر لها في تقرير عن الحروب بين الامبراطورية الاثيوبية والامام أحمد بن ابراهيم هرر ، في أوائل القرن السادس عشر . وفي سنة ١٥٢٠ نزلت في المدينة بعثة برتغالية ، وفي سنة ١٥٥٧ احتل العثمانيون مصوّع وحرقيقو . وفي سنة ١٨٦٥ انتقلت المدينتان الى المصريين ، وبقيتا كذلك حتى الاحتلال الايطالي سنة ١٨٨٥ . وقد كان لهذه التغييرات السياسية أثرها على حياة القبائل ، وخاصة بسبب اشراكها في مغامرات أسيادها الحربية ، واضطرارها الى قبول مختلف الحماة والطغاة . غير ان هذه كلها لم تغيّر الاّ جزئياً من مظهر البلاد وعادات شعبها .

أما عصب الواقعة في أقصى سهل الدناكل ، فهي مدينة بدون عمق ، محاطة بمنطقة شبه خالية من السكان . ففيما يبلغ عدد سكان عصب حوالي ٢٠٠٠ نسمة ، لا يتجاوز عدد سكان المديرية الستة آلاف . وفي عام ١٨٦٩ ، اشترت احدى شركات الملاحة الايطالية قرية عصب ـ التي لم تكن سوى مركز صغير لصيد السمك ـ لحساب الحكومة الايطالية ، فكانت أول موطئ قدم لايطاليا في اريتريا وعلى البحر الاحمر . وتحوّلت عصب الى مركز اداري وتجاري وعسكري ، ولكنها لم تصل الى أوجُ أهميتها إلا في عام ١٩٣٥ ، عندما أصبحت أحد أحدث موانئ الامبراطورية الايطالية الجديدة في افريقيا . أما اليوم فقد عادت عصب مركزاً سكانياً متواضع الأهمية .

٥ ـ الهضبة الوسطى

أ ـ التقسيم الثقافي

قد لاحظ القارئ اننا أشرنا ، في نطاق هذا البحث ، الى المديريات في السهول ، والتلال الشمالية ، بأسماء أهم مدنها ، فيما استخدمنا أسماء المناطق بحد ذاتها للدلالة على مديريات الهضبة الوسطى . ونحن لم نفعل ذلك بصورة عفوية . فالتنظيم الاول ، يمثل ، الى حد بعيد ، ابتكارات سياسية اصطناعية ، بينما يمثّل التنظيم الثاني وحدات تقليدية ، هي ، بحد ذاتها ، نتيجة تطور تاريخي طويل . وينظر الاريتريون ، بصورة عامة ، الى مديريات الهضبة الثلاث وكأنها تشكّل « بلاداً » مختلفة ، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ، فلكل منها تاريخه الخاص ، وطابعه المميز ، وحتى عاداته الخاصة . ويدرك سكان المديريات الثلاث ، هذه الفوارق بقدر شعور المرء تقريباً ، باختلاف الجنسيات .

غير أنه ، مقابل هذه الفوارق وتلك الصلات ، توجد وحدة هي أوسع وأقوى وأشمل ، من تلك التي يجسّدها ، عادة ، « البلد » الواحد . فالمديريات الثلاث تشكّل ، مثلاً ، جزءاً من تلك المجموعة الثقافية الحضارية والعنصرية الواسعة التي تميزها الديانة القبطية ، واللغة التجرينية : ونمط عيش المزارعين المستقرين في قرى كبيرة أو مدن . وتشمل هذه المجموعة ، الجزء الشمالي

من الامبراطورية الاثيوبية المعروف بالتيجراي أو بلاد « ما وراء نهر مرب ، وهو نهر يقع جنوبي بحيرة آشانجي . وتنقسم مديريات الهضبة بدورها الى أقاليم ـ « اوراجا » (Awraja) بالتيجرينيا ـ تعرف هي أيضاً بأسماء تقليدية تمثّل كذلك ـ مع استثناءات قليلة ـ وحدات تاريخية ، لا تميّز بينها الا فوارق بسيطة في العادات والتقاليد . كما أن النزوح الجماعي ، في الماضي البعيد والقريب على السواء ، قد حاك علاقات قرابة وثيقة ، ووحدة سلالة بين أقاليم و « بلاد » ، وحتى بين اريتريا والتيجراي ، بحيث تكوّن نمطاً ثالثاً ، غير متجانس ، من الروابط ، يطغى على سائر أشكال الوحدة .

ويظهر الاختلاف في العادات بين المديريات والأقاليم في مختلف مجموعات القوانين العرفية المعتمدة . فأكثرية سكان اكلى ـ غوزاي تتبع مجموعة قوانين معروفة باسم « معم محازا » MEHAZA . بينما في مديرية السراي تسود مجموعة القوانين العرفية المعروفة بإسم « ادكى ملجا » AKDEME MELEGA نسبة الى الشقيقين اللذين يتحدر منهما شعب السراي . أما في حماسين ، فقد اعتمد نصف أقاليمها قانون « جبره كريستوس » المنسوب مثل قانون « دكي تشيم » DEKKI TESHIM الى أحد أقاليم المديرية ، بينما لبقية الاقاليم قوانينها الخاصة بها . وهكذا هي الحال بالنسبة لمختلف أقاليم اكلي ـ غوزاي والسراي ، حيث لكل منها قوانينه الخاصة . وتبرز ، في أهم مجموعات القوانين في المديريات الثلاث ، فوارق كبيرة في الإطارين القانوني والإجرائي . ولا يوجد ، بالمقابل ، سوى فوارق بسيطة ، بين قوانين الأقاليم ، تتعلق بعادات الزواج والضيافة وفدية الدم . وكثيراً ما تأتي هذه الفوارق نتيجة لاختلاف الروابط العنصرية والسلالية . من الأمثلة على ذلك ، قانون الشعب المعروف باسم « لوجو شوا » (Laggo Cwa)

في حماسين ، فهو نفسه قانون المجموعات المتحدرة من « اللوغوكوا » والمقيمة في السراي . وقانون « ايغللا » (Eggela) في اكلى ـ غوزاي المعتمد من جانب عدد من المجموعات التي تدّعي وحدة النسب . ومع ذلك ، لا يشكّل أتباع مجموعة قوانين واحدة ، مقياساً مطلقاً للإنتساب العنصري ، لأننا سنرى أن ذلك لا يمكن أن يأتي ، في حالات عديدة ، نتيجة لتطورات حديثة ، أو لإعادة تجميع سياسي ، أو لانتساب طوعي .

ب ـ التجمعات العنصرية

يستوطن الهضبة الوسطى أكثر من نصف سكان اريتريا . ولا تقل مسائل الاصل والعنصر غموضاً ، وتقاليد النسب خيالاً ، في هذا التجمع السكاني الواسع ، عما هي عليه في سائر أنحاء اريتريا . فهناك تقليد غامض يقول ان القسم الأكبر من سكان حماسين وأكلي غوزاي ـ وكذلك عنصر الامهره بكامله ـ يتحدر من جد واحد ، يشار إليه أحياناً بـ « الملك القادم من وراء البحار » ، ومن أولاده الثلاثة : مالوك ، شالوك ، فالوك . وينسب تقليد آخر أصول أهالي السراي الى مهاجرين من لاستا في أثيوبيا . ويقال أن تجمعات عنصرية أخرى ، وفروعاً قبلية ، أكثرها مجهولة النسب ، انضمت الى هؤلاء السكان الاوائل الاسطوريين او المهاجرين .

وقد بقيت ذكرى هذا الرباط العنصري والسلالي حية في أسماء بعض الأقاليم والمديريات . فمن الشائع مثلاً أن اسم اكلى ـ غوزاي مأخوذ عن اسم الشقيقين اكلى وغوزاي الابوين الاولين لسكان المنطقة الأوائل . وهناك أقاليم في اكلى ـ غوزاي وحماسين والسراي تدعى لوغو إذ يسود الاعتقاد بأن أبناءها يتحدرون من فرع عنصري واحد . ويوجد اقليم في أكلى ـ

غوزاي معروف باسم « دكي ديغنا » DEKKI DIGNA أي « أبناء الديغنا » ، كما يوجد اقليم في السراي يحمل الاسم نفسه ، مما يوحي بالانتماء السكاني الواحد .

ومهما كان الأمر ، فان التقسيم العنصري القديم ، لسكان البلاد الحاليين لم يعد ، أكثر من ذكرى . فموجات الهجرة المستمرة ، واختلاط النازحين ، واندماجهم ، جعلت من الشعوب المتكلمة التجرينية في كل من اثيوبيا واريتريا ، خليطاً من السلالات العنصرية . أما التقسيم العنصري أو القبلي الذي ربما كان قائماً ، ذات يوم ، فإنه قد ضاع وسط التنظيم الإقليمي القائم في البلاد منذ حوالي القرن من الزمن .

ج ـ الاوضاع الاقتصادية

تختلف الاوضاع الاقتصادية ، والثروة الحيوانية ، والانتاج الزراعي ، من مديرية الى أخرى ، على الهضبة . غير أن انتاج الارض لا يصل ، في أية منها ، الى درجة الاكتفاء الذاتي . أما النقص في مساحات المراعي ، فإنه ، رغم أهميته ، لا يصل الى حد الخطر ، حيث أنهم يستعيضون عنه ، بسهولة نسبياً ، عن طريق النزوح الى المراعي الأكثر غنى . فهناك النزوح الموسمي الى السواحل تقوم به القبائل الرعوية في أكلي ـ غوزاي ، ونزوح آخر ، على نطاق أضيق ، يقوم به ، أبناء حماسين والسراي الى السهل الغربي . أما النقص في انتاج المحاصيل الغذائية ، فيشكل أحد أبرز المشاكل الاقتصادية في المنطقة .

وراء هذا الوضع تكمن عدة أسباب : ففي حماسين ، فان وجود مدينة كبيرة مثل أسمره ، غير منتجة زراعياً ، لا يمكنه الا ان يسبب خللاً بين

الانتاج والاستهلاك ، حتى لو كانت الأرض أوسع وأكثر خصباً مما هي عليه . أما السراي ، أغنى المديريات الثلاث زراعياً ، فإنها تكاد تحقق الاكتفاء الذاتي ، ويعود عدم تحقيقها الإكتفاء الكامل الى كثافة سكانها ، المرتفعة نسبياً . وأخيراً ، لقد أوصلت كثافة السكان البدو ، وفقر التربة ، مديرية اكلي ـ غوزاي ، الى العجز في تحقيق الإكتفاء الذاتي . ولا بد أن نضيف الى هذه الأسباب الطبيعية ، سبباً نفسياً لا يقل عنها فعالية ـ وربما كان الأكثر فعالية في اكلي ـ غوزاي ـ هو تقاليد الشعب المحارب الذي يشكل العمل في الارض ، بالنسبة له ، ثاني اهتماماته . وقد استغلّ الايطاليون هذا التقليد الى أقصى حد ، فحوّلوا الالاف ، من هؤلاء الرجال الأشداء الى جنود في جيشهم ، وجعلوهم غير صالحين للعمل الأكثر شقاء ، والأكثر رتابة ، وهو العمل في الأرض .

وهنا أيضاً ، يستعاض عن النقص في الانتاج الزراعي ـ كما جرت الامور منذ القدم ـ بالإستيراد من الخارج . ويوجد مصدران أساسيان لذلك : الاهراءات الطبيعية التي تشكلها وفرة الانتاج في التجراي الاثيوبية من جهة ، والشاطئ الذي هو سوق الترانزيت مع اليمن من جهة ثانية . ولم يؤد اعتماد وسائل النقل الحديثة ، من سيارات شاحنة وقطارات ، الى الاستغناء كلياً ، عن طرقات التجارة القديمة التي تسلكها البغال والجمال . ولا تحتل وسائل النقل القديمة الا أهمية ثانوية في حماسين ، فعاصمتها هي المركز التجاري لاريتريا الحديثة ، تتجمع فيه السلع المستوردة من آغوردات ، ومن الشاطئ ، ومن أسواق أثيوبيا القريبة والبعيدة ، حيث يعاد توزيع قسم منها ، على سائر أنحاء البلاد . وفي المقابل ، لا تزال بعض أجزاء حماسين تعتمد على طرقات التجارة القديمة عبر الحدود . فسوق دقى مخاري ، هو المحطة النهائية لاحدى

هذه الطرقات التي تنطلق من انتيتشيو في التجراى ، **وتقطع الحدود في** « تزورونا » TZORONA ، في اكلى ـ غوزاي . ويعتمد اقليم **دقي** محارى ، من جهة ثانية ، على محاصيل دماس وقندع في مديرية مصوّع ، حيث توجد مزارع الكثيرين من سكان الإقليم .

أما في السراي ، فإن احدى أهم الطرق التجارية مع أثيوبيا ، تمر عبر إقليم « زايد أكو لوم » الحدودي ، الى القرية السوق : توكول . وهناك خط تجاري آخر ، يتبع طريق السيارات الى سوق عدى قاله . كما ان تجار عدى وقري ، يستوردون الحبوب ، من أسواق أثيوبيا البعيدة ، مثل أسواق عدوه وأندا سيلاسه .

يعتمد سكان اكلى ـ غوزاي من أقباط حضر أو مسلمين بدو ، على مصادر مختلفة لتأمين تموينهم . فيستعمل الأقباط الطرق التجارية القادمة من التجراي ، والتي تقطع الحدود في تزورونا TZORONA ، قرب « أنتيتشيو » ENTICCIO ، وفي مونوكساتيو MONOXEITO قرب عقامي ، وفي آرومو ، قرب ايروب IROB . أما أقاليم منطقة سغنيتي ، فتشكل استثناء ، وتعتمد ، شأن اقليم دقي محارى المتاخم ، على محاصيل مزارع دماس وقندع . أما الأساورتا ، أكبر القبائل البدوية ، فتؤمن احتياجاتها من مصوّع أو من زولا على الساحل ، أو تشتري قمحها من ماهيو ، في وادي نهر حداس ، التي تشكل نقطة التقاء القبائل القادمة من الشرق ومن الغرب . وتعتمد قبيلة المنفري MINIFERI التي تعيش بين صنعفي SENAFE والشاطئ ، على سوق ارافلي ARAFALI عند الشاطئ ، وسوق صنعفي الداخلي . أما الحزو في جنوب شرقي المديرية ، فيعتمدون هم أيضاً على الشاطئ وصنعفي وأسواق عقامي في تجراي ، في معاملاتهم .

هذا الارتباط الوثيق والقديم ، بأسواق القمح الواقعة عبر الحدود ، يلتقي مع الصورة التي رسمنا للروابط العنصرية والحضارية بين اريتريا والتجراي الاثيوبيَ .

د ـ الدين

تنتمي أكثرية سكان الهضبة ، كما سبقت الاشارة ، الى المسيحية القبطية . ولا يوجد قرية مهما كانت صغيرة ، لا تقوم فيها كنيسة ، وليس هناك مديرية ، لا يوجد فيها عدد من تلك الاديرة الشهيرة ، والتي هي في أغلب الاحيان ، غنية وعريقة ، وتشكل الركائز الروحية في البلاد . وقد كان لهذه الاديرة ، فيما مضى ، سلطات زمنية واسعة ، بفضل الاراضي الشاسعة التي كانت تملكها ، والاقطاعات التي كانت خاضعة لها . غير أنه ، تمّت علمنة تلك الاقطاعات . وكان هذا الاتجاه العلماني ، قد بدأ تنفيذه في عهد الحكم الاثيوبي . كما جرى تحديد ممتلكات الأديرة ، ولا يزال هذا التحديد مستمراً بإرادة الشعب الذي يطغي جوعه الى الأرض على احترامه لكنيسته . واننا ، في الواقع ، نبالغ في تقديرنا لهذا الاحترام الذي يكنّه الشعبَ لرجال الدين الاقباط من كهنة ورهبان ، الذين هم ، على العموم ، بشعو المنظر ، جهلاء ، كسولون ، وبعيدون عن حياة القداسة . والفلاح القبطي يلاحظ كل ذلك . وفي هذه الأيام ، ازدادت كثيراً الحالات التي يرفض فيها الفلاح العمل في أراضي الأديرة ، محطماً بذلك واجباً اقطاعياً قديماً .

ولكن ، لا يزال في متناول رجال الكنيسة ، تلك الأسلحة القوية التي اسمها الحَرَمْ ورفض اقامة القداديس للجماعات المتمردة . غير أن هذه

الاسلحة نفسها فقدت فعاليتها ، وقد ساهمت الخلافات الداخلية في إضعاف مقاومة الكنيسة القبطية لهذه الهجمات الخارجية .

إن رأس الكنيسة القبطية هو مطران أسمره الذي يطلق على نفسه لقب « أبونا » ، وتضم أبرشيته التقليدية اريتريا واقليم تجراي الاثيوبي معاً . وحتى عام ١٩٣٥ ، كان مطران اريتريا يتسلم البيعة على يد بطريرك الاسكندرية القبطي في مصر . ولكن الحكم الايطالي ، لدوافع سياسية ، أخضع الابرشيات القبطية في الممتلكات الايطالية ، لكرسي أديس ـ ابابا الحديث الإنشاء . وبعد زوال الحكم الايطالي ، عادت الأمور الى مثل ما كانت عليه من قبل ، على الأقل من الناحية المبدئية ، لأن الأوضاع لا تزال غير واضحة وفيها الكثير من الشواذ . أما مطران اريتريا الحالي ، فهو أحد الاساقفة المعيّنين من قبل كرسي أديس ابابا الحديثة العمر ، ورغم أنه خسر مركزه ، بمرسوم حكومي ، فقد بقي يمارس صلاحياته .

أما في اكلي ـ غوزاي والحماسين فتوجد أقلية ، لا بأس بها ، من الكاثوليك ذوي الطقس الاثيوبي ، يقارب عددهم ، في مديريات الهضبة حوالى ١٠ الاف نسمة ، مقابل ٣٥٠ ألف قبطي . وكان المذهب الكاثوليكي على الطقس القبطي ، الذي يشكل تسوية بين الكاثوليكية الغربية اللاتينية ، والمسيحية القبطية الشرقية ، قد أبصر النور ، في أوائل القرن الثامن عشر ، على يد المبشر الايطالي « فرانشسكو دي ياكوبيس » المعروف باسم « أبونا يعقوب » . وقد نشر « أبونا يعقوب » تعاليمه بين أهالى عقامي ، شمال شرقي تجراي ، وفي الولايات الاريترية عامة ، رغم المقاومة الشديدة التي واجهته من حكام أثيوبيا الاقباط . وقد تمكن من احياء المعتقد الكاثوليكي ـ مع ادخال بعض التعديلات الملائمة ـ الذي كان في طريق الزوال هناك ، تحت وطأة

الإضطهادات الدينية والمذهبية التي امتدت على طول القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولعل الكنيسة الضخمة التي شيّدت حديثاً فوق مدفنه في هبو HEBO ، قرب سقنيتي ، تعتبر اعترافاً ، ولو متأخراً ، بانتصاره النهائي . وللكاثوليك الاقباط الاثيوبيين مطرانهم الخاص بهم ، ومركزه اسمره . وقد حافظ مع كهنته على روح المهتدين العتيدين ، واعتمد معهم معتقد الكنيسة المناضلة .

وأما المسلمون في الهضبة الوسطى ، فيبلغ عددهم حوالي ٧٢ ألفاً ، يمثلهم تجمعان عنصريان : الاول ويتألف من القبائل المسلمة التي تتكلم الساهو ، ويعيش أفرادها كمهاجرين في مديريات الهضبة ، والثاني يتألف من شيعة « الجيبرتي » (المختارون) المنتشرة على شكل تجمعات صغيرة في مختلف أنحاء المنطقة . ويلتقي الجيبرتيون ، عنصرياً ، مع أقباط الهضبة ، ويتكلمون لغتهم التيجرينيا ، ويدّعون أنهم اهتدوا الى الاسلام ، على يد أحمد النجاشي[١] الذي نسب لنفسه صفة تلميذ النبي (صلعم) . ويقال ان أحمد النجاشي الحبشي (الاثيوبي) الاصل ، قد عاش في أيام الهجرة . ولهذا فإن قبره في تجراي ، قرب عدى قرات ADIGRAT ، قد تحوّل الى مزار لكل المسلمين الجيبرتيين . هذا ، ويشكل العرب القادمون من اليمن وحضرموت العنصر المسلم الثالث المتواجد في الهضبة الاريترية ، وهم يشتغلون عادة كتجار وعمال مزارعين ، ويتجمعون ، بأعداد كبيرة في المدن والقرى الكبيرة .

ومن النادر التزاوج بين الاقباط والكاثوليك القبطيين ، وأندر منه

---

١) الزوايات المحلية التي تعطيه اسم أحمد النجاشي هو ملك الحبشة المعروف بإسمه الذي آوى المهاجرين من الصحّابة الذين فروا من أذى قريش في بداية ظهور الدعوة الاسلامية في مكة (المعلقة) .

وأصعب أن يتم ذلك بين المسلمين والمسيحيين . ولكنه ـ باستثناء بعض المشاكل الناتجة عن التحاسد بين الطوائف القبطية الشرقية والغربية . فان الجماعات الدينية المختلفة تعيش بسلام ، جنبا الى جنب ، وتتمتع بفضائل التسامح الديني الذي عرفت به السياسة الايطالية . وتنتشر الكنيسة الكاثوليكية ، بمساعدة روما ببطء ولكن بصورة مطردة ، في حين تبدو الطائفتان المسلمة والقبطية الشرقية مستقرتان . ويقال ان بعض القبائل تحوّلت ، في الماضي ، من القبطية المسيحية الى الاسلام (مثلا قبيلة منغري في اكلى ـ غوزاي) فيما تحوّلت اخرى من الاسلام الى القبطية المسيحية . أما اليوم ، فأننا لم نعد نشهد مثل هذه التحولات الجماعية .

هـ ـ ملكية الأرض والتنظيم الاجتماعي

ان أساس التنظيم الاجتماعي في الهضبة هو تجمع القرابة المعروف باسم « اندا » . وهو يتألف من عدد ، يختلف حسب الحالات ، من العائلات التي تدّعي الانتساب الى جد واحد ، يحمل التجمع اسمه (كالعشيرة عند العرب : المترجم) . وعندما يزيد نمو الاندا عن الحد المقبول ، ينقسم الى فرعين أو أكثر . وغالباً ما تكتسب هذه الفروع ، مع الزمن ، اسماً وهوية اجتماعية خاصة بها . ويشكّل الاندا نوعا من الوحدات الاقليمية ، عن طريق الوراثة التي هي أهم أشكال ملكية الأرض في المنطقة ، فحق « الرستي » المطلق في ملكية الأرض ، يرتبط بتجمعات الاندا . كما انه بوسع العائلات المنتمية الى الاندا ، امتلاك الأراضي ، من النوع الرستي ، بصورة افرادية . ولكن هذه الحقوق الافرادية تفهم على انها تتحدر من حقوق مكتسبة داخل اطار الاندا نفسه ، على أساس حق قديم في اولوية الاقامة على الأرض . وينتعش

هذا المفهوم العشائري المشترك لملكية الأرض كلما نشب نزاع حول ملكية الارض ، فيشكل بالتالى أفضل وأوثق رباط للتماسك داخل الاندا .

وكان من نتائج هذا المفهوم المشترك لملكية الارض ، أن يتجه الاندا الواحد الى الانحصار في اقليم واحد ، وحتى في قرية واحدة . كما أدّى التقسيم التدريجي للتجمعات في الاندا ، بالاضافة الى النزوح سعياً وراء أراضٍ ومراعٍ جديدة ، الى تحطيم هذا التحديد الاقليمي ، بصورة جزئية ، بحيث صرنا اليوم نواجه « اندات » موزعة على عدة قرى وأقاليم . ولم نعد اليوم نجد قرى أو أقاليم مؤلفة من « إندا » واحد فقط ، بالرغم من ان بعض الأسماء المحلية ، تبدو وكأنها توحي بأن الوحدات السياسية والتجمعات القروية ، كانت توازي في الماضي تجمعات الإندا ، مثل اقليم إندا ـ داشيم في اكلى ـ غوزاي ، واقليم اندا ـ ازماك اوغبيت في السراي ، أو الاقليم الذي كان قائماً في حماسين حتى الاحتلال الايطالى ، وكان يعرف باسم « اندا ـ جبره ـ كريستوس » .

ويشكّل نظام الرستي ، في ملكية الأرض الذي يعمل به الاندا ، من ناحية أخرى ، تقسيماً اجتماعياً يذكّر ، من بعيد ، بالتمييز الطبقي . فهذا التقسيم يضع من جهة ، هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين القدامى في المنطقة ، ومن جهة ثانية ، اولئك القادمين الجدد . ويعرف الفريق الاول باسم « رستنياتات » RESTENYATAT أي المالكون بموجب نظام الرستي ، أو باسم « بالابات » BALLABAT او « العائلات الوارثة » . بينما يُعرف الفريق الثاني باسم « ماخلاي ـ آليت » MAKHELAI-ALET أو « الذين بين » ، أي الناس الذين يعيشون بين السكان الاصليين . وبوسع جماعة الفريق الاول ، كما يدل اسمهم ، الادعاء وحدهم بحقوق الرستي

الوراثية الكاملة ، فيما لا يحق للفريق الثاني أي « الغرباء » التعامل بالأرض ، إلا بصفة مستأجرين (سدبي) SEDBI او عن طريق الشراء (ووركي) WORKI قديماً او حديثاً . ويدّعي « الرستنياتات » ان لهم تقريباً وضع ارستوقراطية اقطاعية مالكة للأراضي ، وتنظر باستعلاء الى « الغرباء » الذين لا يملكون في الاساس . وقد فقد هذا التمييز الطبقي ، في الوقت الحاضر ، صرامة الماضي ، وأصبحت ملكية الارض المشتراة ، توازي الحق المطلق في الملكية الناتج عن نظام الرستي الوراثي ... وفضلاً عن ذلك ، هناك نظام ملكية الأرض المشاع ، الموجود في عدة مناطق من اريتريا ، والمعروف باسم « شيهينا » SHEHENA او « ديزا » DIESA ، ويعترف بحقوق استثمار متساوية لجميع أبناء القرية ، مالكة الأرض المشاع ، يفقد معه التمييز بين العائلات الوارثة والغرباء كل معنى . وهناك تدبير سياسي اتخذه « راس آلولا » آخر حكام اريتريا الاثيوبيين ، مدّ الجسور بين طبقة الارستوقراطية مالكة الأرض وبين طبقة الغرباء التي لا تملك أرضاً . وقد تضمّن هذا التدبير أمراً أصدره الحاكم الاثيوبي ، قبل الانطلاق في حروبه ضد المهدي . وقد أوحت باصدار هذا الأمر ضرورات تمويل الحرب القادمة . ونصّ هذا الأمر على أن يصبح من « الرستنياتات » ، مهما كان أصله أو مصدر ملكه ونوعية حقوقه ، كل من كان مالكاً لأرض . غير أن هذا التدبير لم يؤدّ الى إزالة الحواجز الطبقية كلياً ، ولكنه أضعفها . ويبدو هذا الأمر جلياً من الامتيازات السياسية الهامة التي لا تزال تتمتع بها عائلات « البالايات » ـ كحقوق الزعامة والاستئثار بإدارة القرى ـ ومن الموجبات الاجتماعية ـ مثل الهدايا الرمزية المفروض تقديمها للرستنياتات ، وواجبات الضيافة ـ التي لا تزال مفروضة على هؤلاء « الغرباء » في هذه البلاد الفخورة بملكية الأرض .

و ـ التنظيم السياسي

يقوم التنظيم السياسي المعاصر لسكان الهضبة الوسطى على أساس نظام اقليمي يعترف بوحدتين : وحدة التجمع القروي الضيقة بزعامة « شيكا » CHIKKA او زعيم القرية ، ووحدة الاقليم الاوسع بزعامة « مسلينيه » MESLENIE او زعيم الاقليم . ويشكّل التنظيم الاجتماعي القائم على أساس « الاندا » ، تنظيماً مستقلاً عن التنظيم السياسي ، موازياً له ، ولكنه لا يتشابك معه . وقد كان مثل هذا التشابك قائماً في الماضي ، حيث كان بوسع زعماء الاندا الاقوياء انتزاع الاعتراف بهم زعماء اقطاعيين للقرية أو الإقليم . وكان زعيم القرية المعروف باسم « حلقا » HALAKHA ، في العهد الذي سبق الاحتلال الايطالي ، يدين بمركزه وانتمائه لاحد « الإندات » . فكان التجمع العائلي هو الذي يعين زعيمه . وكانت هذه الزعامة تنتقل سنوياً من إندا الى آخر . وقد حصل في بعض المناطق ، ان زعماء القرى لم يقطعوا روابطهم القديمة مع الاندا كلياً ، فأصبح هؤلاء زعماء يشرفون على شؤون « إندات » داخل القرية ، وليس شؤون القرية ككل .

ومع الزمن تغيّر مفهوم الزعامة القروية ، فأصبحت اليوم مهمة دائمة تؤول الى صاحبها بالتعيين . ولكن الاختيار اليوم ، كما كان في الماضي ، لا يزال يتم في نطاق « العائلات الوارثة » . وفيما عدا ذلك ، ليس للمركز أي رباط وراثي . أما الوحدة التي أساسها القرية بحد ذاتها ، فقد بقيت بدون مساس ، عبر كافة التغييرات السياسية التي مرت بها اريتريا . بينما تأثرت وحدة الاقليم السياسية بهذه التطورات . فهناك عدد كبير من الاقاليم اليوم لا يزال من النوع التقليدي الذي سبق وصفه ، فيما قامت أقاليم اخرى أكثر حداثة . وحتى الاحتلال الايطالى ، كان العديد من القرى ، يتمتع

بحكم ذاتي ، ولا يرتبط بأي اقليم سياسي . أما اليوم فقد جرى تجميع أكثرية هذه القرى ذات الحكم الذاتي ، في اطار الاقاليم ، بحيث لم يبق الا عدد قليل منها ، في كل الهضبة ، يتمتع بالحكم الذاتي . ومع علمنة أراضي الكنيسة ، والغاء الملكيات الاقطاعية ، في عهد الحكم الايطالي ، أبصرت النور أقاليم جديدة . وعمدت الادارة الايطالية ، من جهة أخرى ، الى تقسيم بعض الاقاليم القديمة ، ودمج بعضها الآخر . وكان الدافع لذلك ضرورات ادارية ، او رغبة في تأمين مراكز جديدة لزعماء مقربين ، او محاولة للحد من سلطة زعماء تقليديين أقوياء .

وعلى غرار الاقاليم نفسها ، شهد مركز زعماء الاقاليم تغييرات عدة . فقبل الحكم الايطالي ، كان الزعيم الاقليمي يعرف باسم « شومونيا » (Shumonya) وكان ينتمي دائما الى طبقة « البالابات » . وفي كثير من الاحيان كان هذا المركز وراثيا ، بالرغم من صعوبة تحديد أقدمية هذه البيوتات الوراثية في بلاد تهزها الحروب باستمرار ، مع العلم بان عدداً قليلاً من هذه البيوتات ، يعود تاريخه الى أبعد من ثلاثة أو أربعة عقود . وعمد الايطاليون الى تغيير لقب الزعيم فأصبح « مسلينيه » والكلمة أمهرية تعني « أنا هو الرمز » أي « أنا أمثل » . وقد بقي العديد من الزعماء الوراثيين في مراكزهم أبان الحكم الايطالي . وأما الجدد ، فقد اختيروا من بين الجنود السابقين لهذه المراكز مكافأة لهم عن خدمات أدّوها للايطاليين . وقد انتقي بعضهم من بين أبناء الاقاليم التي رئّسوا عليها . فيما جيء بغرباء في عدد قليل من الحالات . وفي هذا المجال نلتقي بزعماء من العائلات الحاكمة ، نقلوا الى أقاليم غير أقاليمهم كترفيع لهم ، في أكثر الاحيان . ومرة جديدة ، نجد أنفسنا أمام سلطات زعماء وراثيين ، وُسّعت لتشمل

أقاليم منشأة حديثاً او غريبة عنهم .

كما ان الادارات الاقليمية ، مرت هي الاخرى ، قبل الحكم الايطالى ، بتغييرات كثيرة وتبدلات . ومن المفيد التذكير هنا ان هضبة اريتريا القديمة ، كانت تشكل جزءاً من الامبراطورية الاثيوبية ، وكانت تعرف باسمها التقليدي « مارب ميللاش » (Mareb Mellash) أي بلاد « ما وراء المارب » . وكان يدير شؤونها ممثل للامبراطور الاثيوبي يحمل لقب « راس » . وكان مركز الزعيم القروي أو الزعيم الاقليمي مجرد رتبة في تسلسل اداري اقليمي معقّد ، بعيد عن أي تجانس . ولم يحافظ على استقرارهما الا المرتبتان الاعلى والادنى في هذا التسلسل ، أي حاكمية « بلاد ما وراء المارب » ، وزعامة القرية ، وكل ما بينهما من رتب ووظائف تعرّض مراراً للتغيير من المراكز التقليدية لزعماء الأقاليم ، الى الزعماء الإقطاعيين ، الى جامعي الضرائب الأمبراطورية ، الى مندوبي الحكومة المركزية في الأقاليم . لذلك نرى من الأنسب التحدث عن مفاهيم الحكم التي كانت وراء هذا النمط الإداري المتبدل باستمرار ، من وصف هذا النمط من الحكم الاداري بكل تفاصيله .

هناك ثلاثة مبادئ أساسية :

أولاً ـ الحكم الذاتي التقليدي الذي تتمتع به القرى والأقاليم ، وقد تجسد بمركزي زعامة القرية والشومونيا .

ثانياً ـ زعامة عائلات محلية نافذة ، تمكنت من الحصول على تأييد الحكومة لمطالبها في ملكية الأرض ، فكان أن أصبح أعضاء من هذه العائلات « بارونات » اقطاعيين لأباطرة اثيوبيا ، وعرفوا باسم « شومغولتي »

(Shungulti) اي زعماء الاقطاعات .

ثالثاً ـ الادارة العسكرية او المدنية المباشرة ، ويقوم بها ممثلون للحكومة المركزية وكانوا جميعهم من الغرباء عن المناطق التي كلفوا بإدارة شؤونها . وقد عملوا كجامعي ضرائب ، أو كممثلين للحاكم . وكان يشار الى كلا المنصبين بتسمية « فرّيسينيا » FERRESENYA ، وغالباً ما كان حكام « جيزاي » Gezai النواحي يخرجون من صفوفهم . أما حاكم « بلاد ما وراء مارب » فكان يؤخذ من بينهم بدون استثناء .

كان المبدأ الأول سائداً في أكلي ـ غوزاي ، فالاقليم كان يخضع لزعماء ينتمون الى عائلات « البالابات » ، وكان ممثل الامبراطور يكتفي بتثبيتهم في مراكزهم . وكانت مهام « الفريسينيا » نادراً ما تتعدى جمع الضرائب والتفتيش الدوري . وكانت الناحية كلها تحت اشراف « جيزاي » يعينه الامبراطور . ففي عهد الامبراطور يوحنا كان حاكم اكلي ـ غوزاي رجلاً من اندرتا (Enderta) في التيجراي واسمه راس أرايا (Araia) ، وخلفه « ديجاش بارياجابر » (Bariagaber) من عدوا ، فالديجاش اصبها (Asbaha) من التيجراي أيضا ، وأخيرا الديجاش ديبب (Debeb) أحد أبناء أرايا الذي أمضى سنة واحدة في منصبه قبل وقوع البلاد تحت الحكم الايطالي .

وفي حماسين تمسكت العائلات الاقطاعية بمقاليد الادارة المباشرة ، ولم يكتف الاقطاعيون المتسلطون بالاحتفاظ بالسلطة التي كانت لهم فحسب ، بل تمكنوا من الوصول الى منصب الحكام الامبراطوريين على المنطقة كلها . وهكذا تمكّن راس هايلو (Hailu) أحد أبناء عائلة هازغه (Hazega) ان يحكم حماسين في عهد الامبراطور تيودور . وتمكن راس ولدميكائيل

من عائلة زأزّيقا (Zazzega) المنافسة ، أن يشغل هذا المنصب في عهد الامبراطور يوحنا . واستطاع ، لفترة من الوقت ـ ابان حملة نابير على مجدلا (Magdala) ـ ان يمد سلطته الى السراي أيضا .

وأما في السراي ، فان الحكم الذاتي ، والخلافات الاقطاعية ، قد أدّت الى اضعاف الادارة « المباشرة » وتحويلها الى مجرد رقابة محلية لا مركزية . ولهذا أصبح زعيم القرية تحت السلطة المباشرة للفرّيسينيا ، بحكم كونه ممثلا للحكومة المركزية . وكان الزعيم القروي ، في الوقت نفسه ، تحت سلطة « البارون » الاقطاعي المحلي . وكانت الخلافات بين البيوتات الإقطاعية كثيراً ما تؤدي الى إنهاء روابط تبعية سياسية قائمة ، واقامة روابط جديدة بديلة .

هذا النظام المتبدل وغير المنتظم ، نجد تفسيرا له ، في تكوين الامبراطورية الاثيوبية والتغييرات التاريخية التي مرت بها ، والى وضع هضبة اريتريا التابعة لحكومة مركزية بعيدة وغير مستقرة . وسنعالج في مجال آخر ـ انظر الدراسة المستقلة عن « اريتريا وجاراتها » ـ وبصورة أشمل ، العلاقات السياسية بين اريتريا والامبراطورية الاثيوبية .

ونكتفي هنا بالقول أن مركزاً واحداً ، من مراكز الزعامات الاقليمية ، استمر في ظل الحكم الايطالى . فقد حدث أثناء الاحتلال الايطالى لأريتريا ، ان عمد الديجاش القوي « بهنا حقوس » من « سنعدقلى » في اكلى ـ غوزاي ، الى مساعدة الغزاة ، فكوفئ بتسميته زعيماً على اكلى ـ غوزاي . ولكن هذا الوضع لم يدم طويلاً ، اذ سرعان ما انقلب على الايطاليين وثار عليهم ، فأبعدوه الى مركز « نخره » الإصلاحي ، وقد زال المركز نهائياً بزوال شاغله . وهناك زعيمان آخران ، تعاونا مع الاحتلال الايطالى ، لكن لمدة

أطول ، هما راس براقي (Baraki) من حماسين ، والديجاش تسفامريم (Tesfamariam) من السراي . وقد نال كل منهما مكافأته من الحكم الايطالى لم تصل لحد منحهما الزعامة على ناحية ، ولكنها امتدت الى أقاليم لم يكن بوسعهما ادعاء أي سلطة تقليدية عليها .

٦ ـ حماسين

أ ـ الأرض والشعب :

حماسين هي أصغر مديريات الهضبة الوسطى مساحة ، ولكنها أعلاها كثافة سكانية ـ أكثر من ٢٠٠ ألف نسمة ـ وأكثرها أهمية سياسية . فمنذ الحكم الاثيوبي ، كانت عاصمة حماسين ، هي عاصمة اريتريا ، ومقر الحكام الامبراطوريين . وقد ساهمت الاوضاع الجغرافية والعنصرية في جعل أسمره وحماسين ، قلب اريتريا استراتيجيا وسياسياً . الطرقات الرئيسية ـ طرق التداخل في الماضي ، وطرق السيارات والقطارات الحديدية اليوم ـ المنطلقة من الساحل الى الغرب ، ومن التلال الشمالية الى الجنوب ، تمر جميعها بأسمره . وتمثل حماسين ، من ناحية اخرى ، أقصى منطقة شمالية ، وصل اليها التواجد التجريني . وكون حماسين أكثر اتحاداً وتناسقاً عنصريا من اكلى ـ غوزاي والسراي ، سهّل اعتمادها مقرّاً لحكومة « مارب ميلاش » ، تلك الولاية الاثيوبية البعيدة . وتنعكس الأهمية السياسية القديمة التي امتازت بها حماسين ، على الالتباس في استخدام اسمها ، بحيث كان الكثيرون من الرحالة القدامى ، ومن مؤرخي أثيوبيا ، يشيرون الى الاسم وكأنه يعني « مارب ميلاش » كلها ، وتحدثوا عن حكام حماسين الامبراطوريين وكأنهم حكام اريتريا كلها .

وكما سبق وأشرنا ، ان معظم أهالي حماسين ينتسبون الى الاشقاء الثلاثة الاسطوريين : شالوك ، مالوك ، فالوك ، الذين يتحدّر منهم الشعب الاريتري في الهضبة . وتروي الاسطورة أن الوالد نزح من مقره الاول ـ بعضهم يحدده في اثيوبيا ، والبعض الآخر في بلاد « ما وراء البحار » ـ وطاف في ولقايت الاثيوبي ، وعبر بلاد الكوناما والباريا ، واجتاز وادي عنسبه ، حتى بلغ حماسين فقرر ان يستقر . وقد ظهرت فروعه الكثيرة تحت أضواء التاريخ في شخص « تسفازيان » الذي يقال انه عاش في القرن السابع عشر ، وانه تسلّم حكم الحماسين ، من امبراطور اثيوبيا . وحمل الشقيق الاصغر لتسفازيان وأبناؤه أسماء أقاليم حماسين الحالية وهي : جبره كريستوس Gebrekustos ـ اغابا AGABA ـ زراي Zerai ـ تاكيله Takkele ـ ميناب Menab . ولا يزال أبناء هذه الاقاليم يعتبرون أنفسهم أحفاداً لهؤلاء . وأياً كانت نسبة الحقيقة في سفر تكوين الحماسين هذا ، فان هذه الاسطورة تبقى في أساس ادّعاء تفوّق الحماسين ، وخاصة المطالب السياسية للمتحدرين من تسفازيان . ومن الثابت كذلك ان مجموعات كثيرة . من عناصر ومناطق اخرى ، من الأمهره ، والتيجراي ، والسهل الغربي ، قد جاءت الى الحماسين ، واندمجت بالسكان الاصليين ، او أسست مجتمعات وأقاليم جديدة خاصة بها . وليس في وحدة الثقافة التي تميزت بها الحماسين طوال القرن الماضي ، الاّ القليل من آثار هذا التقسيم القديم .

أما مديرية (مفوضية) الحماسين الحديثة فتضم ثلاث مناطق : منطقة مدينة أسمره ، منطقة الحماسين بحد ذاتها ، ومنطقة (مقامية) دقى محارى التي يعود تاريخ انشائها الى سنة ١٩٣٥ .

ب ـ مدينة أسمره :

كلام قليل يمكن قوله عن أسمره إضافة الى كونها تضم أكثر من ١٤٠ ألف نسمة بينهم حوالى ١٠٠ ألف نسمة من غير الاوروبيين ، من عناصر ومجتمعات مختلفة . وأكثرية السكان الاصليين في أسمره من الاريتريين والاقباط ـ حوالى ٧٠ ألفاً ـ ، وبينهم عدد كبير من الاريتريين المسلمين أصلهم من السهو والجيبرتيين ـ حوالى ٢٥ ألفا ـ ، وعدد قليل من الكاثوليك الاريتريين ـ حوالى ١٩٠٠ نسمة ـ ، يضاف الى هؤلاء عناصر كثيرة غير اريترية ، وهي على الاخص اثيوبية ، وسودانية ، ويمنية . ويقومون بجميع النشاطات التي تتميز بها المدن الكبرى .

وفي المدينة يعيش السكان غير الاوروبيين في جزء خاص بهم ، منفصلين عن السكان الاوروبيين . وقد قسّم هذا الجزء غير الاوروبي الى دائرتين تتألف كل منهما الى حيّين . يشرف على شؤون الدائرة رئيس دائرة يسمى « كابوريونه » (Rione) ، ويدير شؤون الحي رئيس حي يسمى « كابوكوارتياره » . وتمّ اختيار رئيس مسلم للدائرة التي تسكنها أكثرية مسلمة ، ورئيس قبطي للدائرة التي تسكنها أكثرية قبطية . واتبع المبدأ ذاته بالنسبة لرؤساء الاحياء .

ج ـ أقاليم حماسين :

دقي ـ تشيم Dekki Teshim : يقطن هذا الاقليم ، رغم صغر مساحته ، عدد كبير من السكان (١٣ ألفاً) . اسمه جديد ، فقبل الاحتلال الايطالى لاريتريا ، كان يعرف باسم « اندا جبره كريستوس » نسبة الى الجد الاول للتجمع السكاني الذي كان أول من استقر في المنطقة . وقد بقي حكم الاقليم في يد هذه العائلة من المستوطنين الاول حتى العهد الايطالى ، عندما ثار

« كانتيبا تيزيما » ، آخر كانتيبا سلالته ، على الاسياد الجدد وهرب الى أثيوبيا . وانتقلت زعامة الاقليم الى « بلاتا باراقي » BLATTA BARAKI الذي عينته الحكومة الايطالية ، وهو ينتمي الى عائلة نافذة في الحماسين ، ولم يكن له أي طموح معلن للزعامة . أثبت للإيطاليين أنه مفيد ونشيط ، ولذلك عمدوا ، في الوقت المناسب ، الى توسيع سلطته لتشمل كل الحماسين تقريباً . ومن « بلاتا » ـ أحد أدنى المراكز في سلم الادارة الاثيوبية ـ بسيط ، رفعوه الى رتبة « راس » التي كانت لحكام اريتريا القدامى . وفي أواخر سنوات حياته ، عمد راس « باراقي » الى تقسيم منطقة حكمه على أولاده الخمسة ، وعينهم نواباً ثم خلفاء له . وبعد موته سنة ١٩٣٩ ، كرّست الحكومة الايطالية هذا التعيين ، وهكذا أصبح أفراد من عائلة « باراقي » يشرفون اليوم على شؤون ٩ من أصل ١٥ اقليماً في حماسين .

ويشتمل اقلي « دقى تشيم » على اثنتين من ضواحي أسمره هما : غاجّيرات (Gajjiret) وجُدايف (Godaïf) . أما أهم قريتين في ريف هذا الاقليم فهما : « عدي سوغدو » عاصمة الاقليم ، و « تسادا كريستيان » . يتميز هذا الاقليم بثروته الزراعية ، رغم انه اضطر ان يتنازل عن مساحات واسعة من أراضيه الخصبة لمدينة أسمره . كما ان الكثيرين من سكان الاقليم يسعون لتأمين معيشتهم في المدينة . يعتنق سكان الاقليم المسيحية القبطية ، باستثناء أقلية من المسلمين الجيبرتيين ، ومجموعة صغيرة اعتنقت المسيحية البروتستانتية ، على يد البعثة التبشيرية السويدية .

وقد أعطى هذا الاقليم اسمه لاحدى مجموعات القوانين العرقية المعمول بها في حماسين ، والمعتمدة في خمسة أقاليم لا تربطها أية علاقة نسب مع سكان اقليم « دقي تشيم » .

ـ **تكلى ـ عقبه** Tekkele-Agaba : مع ان مساحة هذا الاقليم تكاد توازي مساحة اقليم « دقي تشيم » فإن سكانه لا يتجاوزون الاربعة الاف . أما أهم قراه فهي قرية زأزيغا Zazzega موطن العائلة التي أعطتها اسمها ، وهي أحد فروع سلالة تسفازيان الشهيرة في المنطقة ، والتي تدّعي انها حكمت الحماسين بأكمله بل حتى « مارب ميلاش » بكاملها ـ وهذا مشكوك فيه كثيراً ـ في عهد الاباطرة الاثيوبيين . أما اليوم فإن هذه العائلة قد فقدت سلطانها السابق . وآخر ممثليها « وجيه » لم تعد له أية أهمية ، فيما انتقلت رئاسة الاقليم الى جندي سابق في الجيش الايطالى . يمتاز هذا الاقليم بأراضيه الزراعية الخصبة . أما توزيع المعتقدات الدينية فشبيه بتوزيعها في اقليم « دقي تشيم » .

ـ **مينابه ـ زيراي** Minabe Zerai : يقع هذا الاقليم الى الشمال من اقليم « اكلي عقبه » مساحته أصغر ، وسكانه لا يتجاوزون ٥٠٠ نسمة . وهو مقر لفرع آخر من سلالة تسفازيان . غير ان هذا الفرع ، استطاع ، خلافاً لفرع زأزيغا ، أن يحافظ على نفوذه السياسي ، وإن يكن في النطاق الضيق الذي يشكله ادارة أحد الاقاليم . ويتحدر الرئيس الحالى للإقليم مباشرة من تسفازيان ، وهو أحد أبناء « راس وولدنكيل » WOLDENKIEL الذي حكم الحماسين في عهد الامبراطور يوحنا . هذا الاقليم فقير بأراضيه الزراعية ، وأهميته المحدودة تكمن في كونه يرتبط بالزعامة القديمة ، اذ انه واحد من اقليمين يحكمهما زعماء وراثيون . أكثرية السكان من الاقباط مع وجود مجموعات صغيرة من المسلمين والكاثوليك .

ـ **دمبيزان** Dembezan : واحد من أكبر الاقاليم في حماسين ، يزيد عدد

سكانه على ١٣ ألفاً . ويسود الاعتقاد باته الارض التي استقر فيها فالوك وشقيقاه ، الاجداد الاسطوريين لسكان حماسين .

وكان هذا الاقليم ، حتى سنة ١٩٣٣ ، يضم ما يشكل الآن اقليم عد تكليزان (AD Teklezan) المستقل . وكانت قرية عد تكليزان عاصمة دمبيزان . وعندما أصبح عد تكليزان مستقلاً ، أصبحت قرية « غاشيناشيم » (Gashinashim) المركز السياسي لاقليم دمبيزان ، ومقر رئيسه الذي هو حالياً أحد أبناء « راس باراخي » الذي سبق الحديث عنه . يضم الاقليم بعض الأراضي الزراعية الخصبة ، إلا أن معظم أراضيه صخرية قاحلة . وقد لاقت البعثة التبشيرية السويدية أرضاً خصبة في دمبيزان وأنشأت كياناً طائفياً بروتستانتياً مزدهراً في عدة قرى ، يضم ٥٤٠ شخصاً . أما أكثرية السكان فتدين بالقبطية مع التواجد الاسلامي والكاثوليكي المعتاد .

ـ **عد تكليزان** Ad Teklezan : يقع هذا الاقليم في الزاوية الشمالية الغربية من حماسين ، عند حافة المنحدر الوعر . وهو اقليم صغير لا يضم أكثر من قريتين كبيرتين وحوالى ٤٢٠٠ نسمة من السكان . وهو ، كما سبق الإشارة ، اقليم حديث الانشاء ، سلخ عن دمبيزان سنة ١٩٣٣ . وقد حافظ على روابطه السياسية القديمة ، عبر رئاسة الاقليم . فرئيسه الحالى ذي النسب العريق ، هو أحد أبناء رؤساء دمبيزان السابقين . أراضي الاقليم فقيرة ، ولذلك يعتمد سكانه على الزراعة في « البحري » لتأمين معيشتهم . وكان قد أُعدّ مشروع لتحويل قرية عد تكليزان ، الكثيفة السكان ، الى مدينة على الطراز الحديث ، ولكن الحرب الحالية (الحرب العالمية الثانية : المترجم) قضت على هذا المشروع . حوالى ربع سكان الاقليم من المسلمين الجيبرتيين والبقية هم من الاقباط ، مع وجود أقلية من الكاثوليك .

ـ **قرى ذات حكم ذاتي** : عددها أربع وهي : هدامو (Hdamu) ، عدى نفاس (Adi Nefas) ، عدى عبيتو (Adi Abeito) ، بيت مخا . مجموع سكانها حوالى ٦٧٠٠ نسمة . ينتمي أبناء هدامو وعدى نفاس ، وعدى عبيتو بالقرابة الى أكبر فرع عرقي في حماسين ، فيما ينتسب أبناء بيت مخا الى البللو ، من مديرية مصوّع . موقع هذه القرى الاربع قريب من أسمره . وكانت هدامو ، تقوم أساساً فيما هو الآن منطقة المدينة . ولما بنيت أسمره ، نقلت القرية الى مكانها الحالي . وكان أبناء هدامو يملكون القسم الأكبر من الأراضي التي تقوم عليها أسمره حاليا ، وما زالوا يملكون مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ، بالرغم من حركة الاستملاكات الواسعة التي حصلت في المنطقة . وتتمتع هذه القرى بالحكم الذاتي ، بصورة إسمية فقط ، فهي مرتبطة برئيس اقليم موحد ينتمي هو الآخر الى عائلة باراخي ، المتواجدة في كل مكان . وجميع سكان الإقليم ، تقريباً ، هم من الاقباط .

ـ **كارنشيم** (Karmeshim) : اقليم توأم يتألف من كارنشيم الشمالى وكارنيشيم الجنوبي . مجموع سكانه ١٣٣٠٠ نسمة . مركز كارنيشيم الشمالى الرئيسي هو « عد زين » (Ad Zein) . أما مركز القسم الجنوبي فهو « امبا درهو » (Amba Darho) . وفي الجزء الشمالى قرى اخرى مهمة هي : زاجير (Zagir) ووكي (Wokki) . رئيسا الاقليمين هما من الرجالات الجدد بدون أي ادعاء وراثي على مركزيهما . وفي الاقليمين أراضٍ زراعية خصبة وثروة مهمة من المواشي ، مع ان أكثرية مزارعهما تقع خارج حدودهما في منطقة « البحري » . ونلتقي في الكارنيشيم مجموعة اخرى ، ممن اعتنقوا البروتستانتية على يد البعثة التبشيرية السويدية . وبقية السكان

من الاقباط مع أقلية مسلمة صغيرة في الشمال .

ويعتمد كارنيشيم مجموعة قوانين عرفية خاصة به ، مع انه لا توجد سوى فوارق بسيطة لا أهمية لها بين هذه المجموعة ومجموعة « دقى تشيم » التي تعتمدها سائر الاقاليم التي ذكرنا .

ـ **عنسبه** (Anseba) : أقليم توأم آخر منقسم بين شمال وجنوب ، يقع غربي حماسين عند المنحدرات المؤدية الى تلال كرن . يبلغ عدد سكان الاقليم ١٤٤٠٠ نسمة . وأهم قراه ، في الشمال عدى نأمن (Adi Naamen) ودرسناي (Dersenei) وفي الجنوب دقى شحاى (Dekki Skiai) . رئيسا شطري الاقليم من العسكريين السابقين ، لا رابط وراثي لزعامتهما . وباستثناء أقلية مسلمة صغيرة ، فان معظم سكان الاقليم من الاقباط . ونظراً لفقر الاقليم للأراضي الزراعية ، لا يزال معظم سكانه من الرعاة شبه البدو ، تقودهم نزوحاتهم الموسمية الى السهل الغربي ومراعي التجراي في الجنوب . وغربي عنسبه تقوم منطقة جبلية وعرة غير مأهولة ، تجاور أراضي البحرى (سيرد تفصيل عنها) وتعتبر جزءاً من أراضي التاج ، يستخدمها أهالى الاقليم كمراع لمواشيهم . ويعتمد اقليما عنسبه مجموعة قوانين عرفية قريبة من مجموعة « دقى تشيم » ، وربما كان هذا التشابه ناتجاً عن روابط القربى التي يدّعيها سكان الاقليمين .

ـ **لوغّوشوا** (Loggo Chwa) : اقليم واسع ، يقع في أقصى الجنوب الغربي من مديرية حماسين ، عند حدود السراي . ويقال ان كلمة « لوغّو » تعني المستعمرات العسكرية التي أقامها أباطرة أثيوبيا ، في ممتلكاتهم البعيدة . ويعتقد ان أبناء لوغّوشوا الحاليين يتحدرون من أولئك الرجال المتنوّعي

العنصر الذين أقاموا في تلك المستعمرات . ولهذا يدّعي أبناء لوغوشوا في الحماسين ، وعددهم حوالى ١٥ ألف نسمة ، وحدة الأصل مع المجموعة التي تحمل الاسم نفسه في السراي ، ومع مجموعة لوغوساردا (Loggo Sarda) في اكلي ـ غوزاي . كما أن جماعتي لوغوشوا في الحماسين والسراي تعتمدان مجموعة قوانين عرفية واحدة . أما أهم مركزين سكنيين في اقليم لوغوشوا بالحماسين فهما : سكيكتي (Skiketti) وحمبرتي (Himberti) . واذا كان اقليم لوّغو شوا قديم من حيث كونه منطقة تسكنها مجموعة بشرية معروفة ومحددة ، فانه حديث النشأة كاقليم اداري . فقبل الحكم الايطالى كان لوّغو شوا مقسماً على مجموعة قرى تتمتع بالحكم الذاتي ، عندما جاء الايطاليون ، وحّدوا تلك القرى ، ووضعوها تحت حكم رئيسي اقليمي ، ينتمي ، هو الآخر ، الى عائلة « براقي » . وهنا أيضاً ، يبرز التركيب الديني المزيج المألوف بين أكثرية قبطية وأقليات اسلامية وكاثوليكية صغيرة . ويمتاز الجزء الشرقي من الاقليم بخصب أراضيه ، بينما أراضي الجزء الغربي صخرية قاحلة ، حوّلها السكان الى مراع لمواشيهم الوفيرة العدد ، مع انهم ، في فصل الشتاء ، ينزحون مع قطعانهم الى السهل الغربي .

والى الشرق من « لوغو شوا » ، حتى حدود أسمره ، توجد نيابة اقليم « شوا العليا » المعروفة باسم « كبسّا شوا » (Kebessa Chwa) . عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة ، قراها صغيرة ، وأكبرها عدى قعداد (Adi Gwadad) تكاد تكون احدى ضواحي مدينة أسمره . وأما السكان في الاقليمين فهما من عنصر واحد ، ويخضعون لرئيس واحد .

ـ **لامزا** (Lamza) : يبلغ عدد سكان لامزا ٤٨٠٠ نسمة ، جلّهم من

الاقباط . القرى صغيرة ، والأراضي الزراعية قليلة وفقيرة . رئيس الاقليم هو زعيم بيت براقي الذي يحكم أيضاً اقليمي سحرتي ووقرتي المجاورين . كان سكان هذه الأقاليم الثلاثة يعتمدون ، في الماضي مجموعة القوانين العرفية المعروفة باسم « دقي تشيم » ، ولكن ، لأسباب يصعب فهمها ، تمّ مؤخراً اعتماد مجموعة جديدة خاصة ، تختلف عن المجموعة القديمة في بعض النقاط الهامة .

ـ **سحرتي** (Saharti) : اقليم صغير المساحة ، غني بالأراضي الزراعية ، كثيف السكان الذين يبلغ عددهم ٦٠٠٠ نسمة كلهم من الأقباط ، أهم قراه قرية امبرتو (Emberto) .

ـ **ووقرتي** (Wokerti) : مساحته أصغر من مساحة الاقليم السابق ، يسكنه ٣٠٠٠ نسمة من الاقباط . ثروة الاقليم هي من المواشي أكثر منها من الزراعة نظراً لقلة الأراضي الزراعية في هذه المنطقة الجرداء . وبالرغم من ادعائهم أصولاً مختلفة ، تعاون أبناء وقرتي باستمرار مع أبناء لامزا وسحرتي ، واعتمدوا ، كما أشرنا ، مجموعة قوانين عرفية واحدة .

ـ **أراضي بحري** : تضم هذه المنطقة السفوح الشرقية الوعرة ومنحدرات الحماسين وأراضيها المنخفضة . ويقع فيها دير « بيزن » الذي هو واحد من أقدم الاديرة القبطية في اريتريا وأشهرها . يعيش في « البحري » عدد قليل من السكان ـ ٥٢٠٠ نسمة ـ المتحضرين ، تقيم نسبة كبيرة منهم ـ ١٢٠٠ ـ في مستوطنتي نفاسيت NEFASIT وأمباتكالا EMBATKALLA . العصريتين . ولكن الاقليم يستقبل موسمياً ، عدداً كبيراً من مزارعي العديد من أقاليم الحماسين . وقبل الحكم الايطالي ، كان الجزء الأكبر من أراضي

البحري ، اقطاعاً تابعاً لدير « بيزن » . وعندما جاء الايطاليون بنظام العلمنة ، صادروا هذه الأراضي وضموها الى الأراضي التابعة للتاج ، بعد السماح للدير بالاحتفاظ بقطعة صغيرة منها ، لم يستثمرها الرهبان كما يجب . وصارت أراضي التاج تؤجّر قطعاً صغيرة الى مزارعي الحماسين الساعين وراء أراضٍ خارج أقاليمهم . ويبدأ الايجار على أساس سنوي ، من حيث المبدأ ، قابلاً للتجديد ، ولكنه يبقى ، في الواقع ، لأجل غير مسمى ، في عهدة عائلات وجماعات ، ولا ينتهي الا بموتها أو هجرتها . وتسجل عقود الايجار لدى حاكم الحماسين الاداري . وحتى فترة وجيزة ، كان وضع البحري ، وضع أراضٍ حكومية موضوعة تحت سلطة الحكومة مباشرة . وكان يشرف على شؤونها حاكم الحماسين ، بواسطة مشرفين زراعيين يسمون « معفري » ، تعينهم المجموعات القروية التي في عهدتها أراضٍ في منطقة البحري . غير أن الفوضى الكبيرة ، والخلافات المستمرة الناتجة عن هذا النظام في التأجير والاستثمار ، أدت الى تغييره سنة ١٩٣٣ ، وجرت اعادة تنظيم البحري كإقليم قائم بذاته ، يديره رئيس اقليم ، يساعده مشرف زراعي عن كل اقليم يقوم أبناؤه بنشاط زراعي في البحري . وفي ماضٍ أقرب ، جرى تقسيم الاقليم الى قسمين لكل منهما رئيس خاص . هذا ، وتطالب الجماعات التي تتعاطى أعمالاً زراعية في البحري ، بحقوق أوسع من حقوق الاستثمار الممنوحة لهم من قبل الحكومة ، على الأراضي المسموح لهم بزراعتها . وهم يطالبون بحقوق « الرستي » الممنوحة ، منذ القدم ، لتجمعات « الاندا » في الحماسين مع العلم انه من الصعب تبرير مثل هذه الحقوق في هذه الأراضي التي ليس فيها جماعات مستقرة بصورة دائمة .

ـ **أنغانا** Engana : لا يشكل هذا الاقليم جزءاً من الحماسين ، بالمعنى التقليدي ، اذ أنه لم يضم الى الحماسين الا في سنة ١٩٣٥ ، كنيابة مقامية ، عاصمتها دقي محارى . وحتى ذلك الوقت ، كان اقليم الانغانا ، يشكل جزءاً من اكلي ـ غوزاي . ولهذا التغيير دوافع محض إدارية . فخلال الحرب الايطالية الاثيوبية ، شهدت قرية صغيرة في الانغانا ، هي دقي محارى نمواً تحوّلت معه الى مدينة هامة ، استوطنها ايطاليون كثيرون وأقاموا فيها ورش تصليح ومصانع ومطاراً . وعلى هذا ارتؤي انه من الافضل ، ادارة شؤون الاقليم الذي توجد فيه المدينة الجديدة ، من أسمره ، وليس من مديرية اكلي ـ غوزاي الريفية .

يدّعي أبناء الانغانا وحدة نسب مع أبناء غونديت (Gundet) وعايلا (Aila) في جنوب السراي . ولكنهم يرون انهم يشكلون جزءاً من اكلي ـ غوزاي الذين ينتمون الى منطقته منذ القدم ، ويشاركونه مجموعة قوانينه العرفية . وقد بقي شعور الانتماء هذا حيا ولم تبدّله التغييرات الادارية الأخيرة . يبلغ سكان انغانا حوالى ١٠٥٠٠ نسمة ، أكثريتهم ـ ٧٠٠٠ ـ تعيش في مدينة دقي محارى . وفي الاقليم قريتان مهمتان : أفالبا وسسا . وتجدر الملاحظة الى أن المنطقة الريفية ، أقل كثافة سكانية ، بالرغم من غناها بالأراضي الزراعية . ويمارس الكثيرون من أبناء الانغانا ، شأن جيرانهم في اكلي غوزاي ، الزراعة في تلال قندع السفحية في فصل الشتاء . وخلافاً لما هو الحال في سائر أقاليم الحماسين ، تتواجد في انغانا ، أقلية قبطية كاثوليكية ـ ١٢٠٠ شخص ـ على غرار ما هو حاصل في الأقاليم المجاورة من مديرية اكلي ـ غوزاي .

وعمر الانغانا كإقليم سياسي ، لا يزيد عن عقدين . فالمنطقة كانت في

الاساس موزعة على ثلاثة أقاليم في اكلى غوزاي هي : « دقي جبري » (Dekki Gebri) و « دقي ادموخوم » (Dekki Admokhom) و « اجيلا هامس » (Eggela Hames) . وقد انشئ اقليم انغانا في عهد الامبراطور يوحنا ، لهدف خاص هو تأمين مركز زعامة للديجاش بحزو Bokru ، أحد رجالات انغانا الأثرياء النافذين ، لقاء خدمات قدّمها للامبراطور . وعندما انتقل الحكم الى الايطاليين ثبّتوه في مركزه ، وأضافوا الى سلطته ، سنة ١٩٣١ ، اقليم دقي جبري . وبعد موته سنة ١٩٣٧ ، عادت منطقة انغانا اقليماً مستقلاً بزعامة رئيسة الحالى الذي هو الاخر ، من أبناء انغانا ومن رجالاتها الجدد ، لا يدين بمركزه الا الى قدرته التي لا يشك أحد فيها .

٧ ـ السراي

أ ـ الأرض والشعب :

إن السراي ، كما سبق وأشرنا ، هي الأغنى زراعياً ، بين مديريات الهضبة الثلاث . فالهضبة الواسعة والمنبسطة ، والتلال المتناثرة فوقها ، تستقر هنا ، في السراي ، على ارتفاع هو ادنى من معدل ارتفاعها في مديريتي الحماسين واكلي ـ غوزاي . كما أن السراي تمتاز بأنها أكثر غنى منهما بمياهها الدائمة الجريان ، وبأراضيها الزراعية ومراعيها . في الجنوب والشرق ، تنتهي الهضبة بانحدار جداري على وادي نهر المارب Mareb الذي يشكل خط الحدود مع اثيوبيا . بينما في الغرب والشمال الغربي ، تنحدر الهضبة تدريجياً نحو السهل الغربي . وفي هذه المنطقة ، نلتقي موسمياً ، بقبائل بني عامر التي تقصد مراعي السراي . وهنا أيضاً نلتقي بمجموعة صغيرة من الكوناما ، القبيلة المتواجدة أصلاً في اقليم بارنتو . والهضبة الخصبة المعروفة ببلاد « التربة السوداء » كثيفة السكان . أما عند حدودها ، حيث تفسح التربة السوداء المجال لظهور الصخور والرمال القاحلة ، فيتبعثر السكان ويقل عددهم .

يبلغ مجموع السكان في السراي حوالي ١٢٣ ألفاً ، وهم متجانسون عنصرياً ، لا يوجد بينهم الا أقلية ضئيلة من العناصر الغريبة . تدّعي أكثريتهم

التحدر من سلالتين وثيقتي القرابة . ترتبط الاولى بجدين أولين شقيقين هما « ادكيمه » و « ميليغا » ، بينما ترتبط الثانية بجد آخر هو « تسفا » . وتعرف باسم « دقي تسفا » أي أبناء تسفا . ويقال أن السلالتين ولدتا في بلاد بورا وسيلووا في مملكة لاستا الاثيوبية . ثم راحت كل سلالة تنتشر وتتفرع في مناطق مختلفة من السراي ، وأصبحت كل منها تقيم اليوم ـ ما عدا استثناءات قليلة ـ في مناطق دقيقة التحديد . وفيما يعيش أبناء تسفا في المناطق الغربية المعروفة عادة باسم « آريزا » الجماعي ، تتواجد سلالة ميليغا في منطقة قوحايين KOHAIN الفسيحة في الجنوب ، الى جانب تواجدها الجزئي في منطقتي ماراغوز تاكلا المجاورتين . ونلتقي في هذين الاقليمين كذلك بعناصر من سلالة عدي كمي ADKEME التي انتشرت أيضاً في سائر مناطق السراي . وتتواجد مجموعات غريبة متحدرة من عناصر من الحماسين أو التجراي في بعض مناطق الحدود في الشمال والجنوب . وتنعكس وحدة العنصر في الاقليم في مجموعة القوانين العرفية الموحدة المعمول بها في الاقليم ، والمسماة « مجموعة عدي كمي ـ ميليغا » نسبة الى الجدين الشقيقين . وسنورد ، في مجال الحديث عن مختلف الاقاليم ، الاستثناءات القليلة المعمول بها ، والتي تتناول الجماعات الغربية المنشأ .

وينقسم السراي اداريا ، الى مقامية واحدة ونيابة مقامية واحدة هما : عدى وقري في الشمال ، وعدى خالة في الجنوب ، ولا تحمل هذه التجزئة أي معنى عنصري أو تقليدي . كما ان حدود المديرية نفسها ، لم تقم ، في مختلف المناطق على أية أسس عنصرية أو تقليدية . بل على العكس ، تعرّض تخطيط الحدود ، إبان الحكم الايطالى ، لكثير من التغييرات . فهناك أقاليم كانت تتبع الحماسين ، واكلى ـ غوزاي ، ثم ضمت الى

السراي ، كما ان هناك منطقة في الشمال الغربي ، فُصلت عن السراي وأُلحقت بمديرية آغوردات . وكانت دوافع ادارية استنسابية ، لا تستند دائماً الى مبررات صحيحة ، وراء هذه التغييرات في الحدود .

ب ـ أقاليم مقامية عدي وقري .

ـ **تاكالا** : يضم هذا الاقليم العاصمة السياسية للمديرية : عدي وقري . ويتحدر سكانه ، البالغ عددهم ٩٤٠٠ نسمة ، كما سبقت الاشارة ، من عدي كمي وميليغا ، يضاف اليهم عدد من مهاجري سحرتي في حماسين المتواجدين في بعض القرى . تدين أكثرية السكان بالقبطية ، وتتواجد أقليات من المسلمين الجيبرتيين والاقباط الكاثوليك . وتشتهر تاكالا بديرها القديم المشهور للأقباط وهو « اندا ابو يوانس » . أهم المراكز السكنية : عدي وقري ، كينا هايلا HAELA ، ايغري ماخت EGRI MAKHET ، عدي باري ADI BARI . يمتاز هذا الاقليم بغناه وخصب تربته الزراعية . وكانت تاكالا ، شأن سائر أقاليم السراي ، اقليماً مستقلاً منذ زمن بعيد . وكان يدير شؤونها ، في عهد الحكم الاثيوبي ، رؤساء القرى ، باشراف « فره زينيا » امبراطوري . وبقيت تاخلا تدار على أساس مجموعة قرى تتمتع بالحكم الذاتي ، تحت الحكم الايطالي ، حتى سنة ١٩٣١ ، حيث أعطي الاقليم أول رئيس اقليمي ، هو الحاكم الحالي ، الذي أختير من أبناء احدى عائلات الاقليم النبيلة ، والتي كانت على رأس عدد من الاقطاعات ـ غولتي ـ تحت حكم الأباطرة الاثيوبيين .

قبل الحكم الايطالي ، كانت عدي وقري قرية صغيرة ، عند التل الذي يقوم عليه حالياً « الحصن الايطالي » . وفي سنة ١٨٩٤ ، أنشئت المدينة الحديثة

لتكون مركزاً عسكريا واداريا ، ونقلت القرية القديمة الى حيث موقعها الحالي . أما اليوم ، فان مدينة عدي وقري ، قد أصبحت سوقاً مهماً ، يسكنه حوالى ٢٢٠٠ نسمة ، نصفهم من الاقباط ، ونصفهم الآخر من المسلمين الذين يوجد بينهم أقلية من الجيبرتيين ، والبيلين (Belein) ، وبني عامر من اغوردات ، وعدد قليل من الاساورتا ، وعرب اليمن المتواجدين في كل مكان .

ـ **ماراغوز** Maraguz : يبلغ عدد سكانه ١١٢٠٠ نسمة ، أكثريتهم من الاقباط ، مع أقلية اسلامية صغيرة . هذا الاقليم واسع المساحة وغني بالأراضي الزراعية . ولكنه فقير بالمواشي . أهم قراه : دوكو ـ مقر الرئيس ـ ، ماي لاها ، آغيزانا (Aagezna) ، عدى هايس (Adi Haiis) ، زيبان سيباو (Zeban Sebau) (قرية مسلمة) . كان الاقليم مقسماً في العهد الاثيوبي الى قرى تتمتع بالحكم الذاتي ، ومع الوقت ، أنشئت حكومة مشتركة مؤلفة من مجلس كبار منتخبين ، أطلقوا عليه اسم « اندابا » (Endaba) وفي عهد الامبراطور يوحنا ، عين على رأس الاقليم حاكم جيء به من تمبين (Tembien) في التيجراي . وعندما قدم الايطاليون ، نظام الاندابا السابق الذي استمر معمولاً به حتى سنة ١٩٣١ ، حيث عيّنوا لادارة الاقليم رئيسه الحالى ، وهو عسكري سابق ولكنه اداري ناجح .

ـ **مدري ود سيبيرا** Medri Wood Sebera : أرضه أقل خصبا من أراضي اقليمي ماراغوز وتاخلا ، لكنه أغنى منهما بثروته الحيوانية . سكانه حوالى ٧٠٠٠ نسمة معظمهم من الاقباط . أهم قراه : عرزا (Arreza) (مقر الرئيس) ، عديبه (Addebai) ، صعدا عدى (Tsada Adi) ،

عدى احسا (Adi Ahsa) ، ميلاد مانتيه (Milad Mante) (سكانها من المسلمين) . حاكم الاقليم حالياً هو راس كداني مريم (Kidenemariam) ، وهو أحد رئيسين في اريتريا يحملان الرتبة الأعلى « راس » . وهو رجل مسن ، شغل عدة مناصب في العهد الاثيوبي . يتحدر من سلالة آيته هيلاب (Aite Hailab) العريقة التي توصل أبناؤها الى مركز بارونات اقطاعيين « شومغولتي » (Shumgolti) أثناء حكم الاباطرة الاثيوبيين . وكانت اقطاعاتهم تشمل سبعة أقاليم ، عرفت فيما بعد ببلاد عرزا نسبة الى مقر هؤلاء البارونات . ولا تزال الاقاليم السبعة خاضعة لحكم هذا البيت العريق الذي مدّ ممتلكاته الى أراضٍ جديدة .

- **مدري فالاسي** (Medri Falassi) : اقليم صغير ، سكانه حوالى ١٧٠٠ نسمة ، جميعهم من الاقباط ، ولا توجد فيه الاّ قرية كبيرة واحدة ، هي توكول . والاقليم غني بالمواشي . ولكنه أقل غنى بالأراضي الزراعية . اسم الاقليم يعني « بلاد الرهبان » لأن أراضي الاقليم كانت ، في السابق يملكها دير « دبره - مرقوس » . ومع إلغاء الممتلكات الكنسية في عهد الامبراطور يوحنا وقبيل الاحتلال الايطالى ، ضُم الاقليم الى ممتلكات راس كداني مريم .

- **كونّو ردّه** Kunno Redda : عدد سكانه ، المنتمين جميعاً الى الكنيسة القبطية ، لا يزيد عن ٣٧٠ نسمة . ولا يوجد فيه سوى ثلاث قرى . وهو الاقليم الثالث في المنطقة الذي يتبع عرزا . وقبيل الاحتلال الايطالى ، عمد أحد أبناء الاقليم ، المرتبط عن طريق الزواج بعائلة هازيغا (Hazzega) النافذة في حماسين ، وبمساعدتها ، للاستيلاء على حكم الاقليم . ولما جاء

الايطاليون ثبتوه في مركزه . ولكنه سرعان ما انقلب عليهم ، فأبعدوه عن منصبه وسجنوه . وأعادوا الاقليم الى ما كان عليه وسلّموه لزعماء عرزا .

ـ **دقي عطايس** Dekki Aitaes : رابع الاقاليم التابعة لعرزا . واسع وخصب ، سكانه حوالى ١٢٠٠ نسمة ، فيه قرية كبيرة واحدة هي مهاكوك . يدّعي سكانه التحدر من « نايب ـ بللو » NAIB BELLU في مديرية مصوّع ، ويرتبطون بصلات النسب مع شعب « تدرر » TEDRER في اكلى ـ غوزاي ، وببيت مخا في أسمره . وصلوا الاقليم منذ عشرة عقود كرعاة مسلمين ، ولكنهم سرعان ما تحوّلوا الى الحياة الحضرية واستقروا ، واعتنقوا المسيحية القبطية .

زايد آكولوم Zaid Akolom : اقليم واسع ، خصوبته نسبية ، عدد سكانه حوالى خمسة الاف ، مبعثرون في أنحاء الاقليم ، الذي يضم قرية كبيرة واحدة هي توكول . يعيش عدد قليل من المسلمين في قرية « عدي ـ كنتيب » ADI KENTIB ، فيما يدين سائر السكان بالقبطية . وكان هذا الاقليم أيضاً ، من ممتلكات بيت عرزا . وقد مُنح الحكم الذاتي أثناء الحكم الايطالى الذي وضع على رأسه ، جندي سابق ، أثبت بسرعة أنه صعب المراس بعد أن نصّب نفسه بارونا يمارس السطو على الحدود . فخُلع من منصبه سنة ١٩٢٨ ، وأعيد الاقليم لبيت عرزا .

قوللوسراي Kwollo Serae : اقليم صغير المساحة ، ولكنه بالغ الثروة . يضم أربع قرى فقط ، و ٧٦٠ نسمة معظمهم من الاقباط ، الى جانب أقلية صغيرة بروتستانتية . كان من ضمن ممتلكات بيت عرزا ، ولكنه

حصل على حكمه الذاتي أثناء الحكم الايطالى . حكمه رؤساء القرى في بادئ الأمر ، ثم مجالس « أندابا » منذ سنة ١٩٢٥ ، على غرار مجالس الكبار التي كانت سائدة في اقليم ماراغوز . وبعد فشل تجربة نظام الاندابا ، أعيد الاقليم الى بيت عرزا ، وإن يكن ، هذه المرة ، الى جناح آخر من العائلة ، يرأسه دجاش منغاشا ، أحد أقارب راس كداني مريم . ويشرف رئيس قوللو سراي على شؤون أقاليمه العديدة من عرزا .

آفلبا Afelba : اقليم صغير آخر ، خصب وغني ، ومن ممتلكات سلالة عرزا . سكانه ٢٢٠٠ شخص جميعهم من الاقباط ، وبينهم فريق يتحدرون من البللو ويقيمون في قرية هاتسينا HATSINA . أما أهم قرى الاقليم هي : حاتسينا لالاي ، وعدي غولتي . تاريخه الاداري شبيه بتاريخ قوللو سراي .

عناجر ANAGIR : يبلغ عدد سكانه ٢٠٠٠ نسمة ، نصفهم من الاقباط ، ونصفهم الآخر من المسلمين . وفيما ينتمي الاقباط من عناصر عديدة ، يتوزع المسلمون بين جيبرتيين واساورتا . ولا يوجد في الاقليم سوى قرية كبيرة واحدة ABI ADI ، جميع سكانها من المسلمين . كان هذا الاقليم الصغير والغني يشكل في العهد الاثيوبي ، اقطاعة (غولتي) لبارونات « عدى منغستي . وبعد إلغاء الاقطاعات ، قسّم الاقليم الى عدة قرى تتمتع بالحكم الذاتي ، أعاد الحكم الايطالى تجميعها مع « هارفي غروتو » HARFI GROTTO المجاورة . وفي سنة ١٩٢٥ ، جرّبت الحكومة الايطالية نظام الاندابا في هذا الاقليم أيضاً ، وكان نصيبه الفشل ، ولذلك أضيفت « عناجر » ANAGIR ، بعد أن أصبحت اقليماً من جديد ، الى

ممتلكات دجاش منغيشا من عرزا .

هارفي غروتو : يبلغ عدد سكانها ٢٧٠٠ نسمة ، جميعهم من الاقباط ، تربطهم صلات القربى مع جماعة ماراغوز . أراضي هذا الاقليم أكثر ملاءمة للرعي منها للزراعة . أهم قراه : عدى غروتو ، عدى هارفي . قبل الحكم الايطالى كان هذا الاقليم يشكّل جزءاً من ماراغوز ، وقد فصل عنه فيما بعد ، ليضم الى « عناجر » الذي يشاطره الحقبة الأخيرة من تاريخه .

غوهشا GUHCHA : اقليم كثير الخصب ، يبلغ عدد سكانه ٥٠٠٠ نسمة ، متنوعي الاصول ، تجمعهم وحدة المعتقد القبطي . أهم قراه : عد دقي ADDEKKI ، توكلا ، سيمازن SEMAZEN ، لاغن LAGHEN . قبل الحكم الايطالى ، لم يكن غوهشا قائماً كإقليم اداري ، بل كان مقسماً الى اقطاعات موزعة على عدة عائلات من البارونات الاقطاعيين المنتمية الى أقاليم اخرى . ومع الغاء نظام الاقطاعات (غولتي) تحوّلت الاقطاعات الى مجموعة قرى ذات حكم ذاتي . وفي سنة ١٩٢٥ ، جُرب نظام الاندابا وبعد فشله ، اعتمد نظام الاقليم الاداري ، وأعطيت رئاسته أيضاً الى دجاش منغيشا من عرزا .

تسليما TSELLIMA : يجاور اقليم « لوغوشوا » في الحماسين ، وكان يشكل حتى العهد الايطالى جزءاً من هذه المديرية وذلك الاقليم . يدّعي سكانه ، وعددهم ١٢ ألفاً ، وحدة النسب مع أبناء « لوغوشوا » في الحماسين ، و « لوغوساردا » في اكلى غوزاي ، كما أنهم يتبعون مجموعة القوانين العرفية المعتمدة في لوغوشوا . يدين أكثرية السكان بالقبطية ، وبينهم أقلية

اعتنقت مؤخراً البروتستانتية ، ومجموعة كبيرة من المسلمين الجيبرتيين ، أصلهم من التيجري ، ويتوزعون على عدة قرى . ولكن لوحظ مؤخراً حركة نزوح بين هؤلاء المسلمين باتجاه الغرب وباتجاه أسمره ، بسبب ضيق مساحة الاقليم . أهم قرى هذا الاقليم : (مقر رئاسة الاقليم) ، امادر AMADER ، امي تسليم EMMI TSELLIM، ديباروا DEBAROA عدي بيزه هانس BEZE HANNES ، عدي بارّو ،

دقي - تسونا DEKKI TSUNA . في العهد الاثيوبي ، كانت ادارة الإقليم موزعة على رؤساء القرى بإشراف فره زينيا امبراطوري . واستمر العمل بنظام القرى ذات الحكم الذاتي ، في ظل الحكم الايطالى . وفي سنة ١٩٢٥ ، طبق الايطاليون ، هنا أيضاً ، نظام مجالس الاندابا ، ليستعيضوا عنه ، سنة ١٩٣١ ، بنظام الاقاليم ، ويعهدوا برئاسة الاقليم الى جندي سابق ، من خارج الاقليم ، من حماسين .

سفاحا SEFFAHA : يتحدر سكان تسليما ، من سلالة أبناء لوغوشوا . وكان يشكّل في السابق جزءاً من حماسين . يبلغ عدد سكانه ٤٨٠٠ شخص ، جميعهم من الاقباط . والاقليم غني بالثروة الحيوانية وبالأراضي الزراعية . أهم قراه : عدي فلستي FELESTI و تلاّ TALLAA . وقد كان لمدة طويلة خاضعاً لادارة سلالة وراثية من الرؤساء . وفي سنة ١٩٣١ ، ولأسباب غامضة ، خفض آخر رؤسائه الى رتبة وكيل ، تابع لرئيس تسليما . ومؤخّراً ، خلع الرئيس الوراثي المخفضة رتبته الى وكيل ، واستبدل برئيس جديد . ويوجد في الاقليم دير « اندا ابونا أندراس »» ENDRIAS الذي يجدر الحديث عنه ، فهو ، بالرغم من فقره ، له أهمية خاصة ،

فقد اشتهر منذ القدم بينابيع المياه الساخنة التي يقال انها تشفي من الجذام ، ولذلك يؤمها المرضى من مختلف أنحاء البلاد للاستشفاء .

ـ **ليبان** : اقليم صغير ، كان هو الآخر ، تابعاً في الاصل للحماسين . عدد سكانه ٢٦٠٠ نسمة متنوعي الاصول . ويضم جماعات من الاستا في اثيوبيا والتيجراي ، ومجموعات تتحدر من البيلين وفروعاً من سلالة عد كيمه ـ ميليغا . تصلح أراضي الاقليم للرعي أكثر منها للزراعة ، ولذلك يمارس سكانه الزراعة ، عبر الحدود ، في أراضي آغوردات ، حيث يدّعون عليها حقوق « رستي » القديمة . يوجد في الاقليم قريتان كبيرتان هما : غرات جبر و (Grat Gebru) (مركز رئاسة الاقليم) ، وفوجويخو لالاي (Wogerikho-Lala) . قبل الحكم الايطالى ، كان يشرف على شؤون الاقليم مجلس من الرؤساء يمثلون مختلف تجمعات النسب الكبيرة (اندا) في الاقليم . وأما السبب في تفضيل هذا النظام على نظام القرى ذات الحكم الذاتي ، فيكمن في ميول السكان البدوية ، وقلة المستوطنات الدائمة في الاقليم . وقد بقي هذا النظام سائداً حتى سنة ١٩٣٢ ، حيث عيّن أول رئيس للاقليم ولا يزال في السلطة الى الآن . وشهدت تلك الفترة هجرة العديد من الناس ، الى اقليم آدي ابو (ADI ABO) في وولكايت (Wolkeit) الاثيوبي ، سعياً وراء المرعى . ولا يزال رئيس اقليم ليبان يدّعي السلطة على هؤلاء المهاجرين ، وان يكن لهذا الادعاء ، في الظروف الراهنة ، مجرد قيمة اسمية فقط .

وعند طرف ليبان عند حدود الحماسيين تقع قرية هابيلا (Habela) المتمتعة بالحكم الذاتي . أرضها فقيرة ، ولكن سكانها أغنياء بثرواتهم الحيوانية . عدد هؤلاء السكان ١٣٠٠ نسمة يتحدرون من اللوغو ، ومن

مجموعات اخرى في الحماسين . ولم تفصل هذه القرية عن اقليم لوغوشوا في الحماسين ، لتضم الى السراي . الاّ في سنة ١٩٣٩ ، بسبب نزاع طويل حول حقوق المرعى ، وكثيراً ما كان يتحوّل الى صدام عنيف بين أبناء حيلا وجيرانهم في ليبان . وقد اعتقد المعنيون ان من شأن ضم الجماعتين الى مديرية واحدة تسهيل الوفاق . وعلى الاثر ، أعطيت القرية نظام الحكم الذاتي ، وتم اختيار أول رئيس لها بالانتخاب ، ولكنه لم يعمر طويلاً في منصبه ، بل خلع ، وعيّن مكانه شخص غريب عن القرية ، من « غوده فيلاسي » (Godefelasse)

ـ **تيميزا** Temeza : يتحدر سكان الاقليم الثلاثة الآف ـ جميعهم أقباط ـ من عكامي في أثيوبيا . وتتواجد بينهم أقلية مهمة من الاساورته المسلمين . يقع الاقليم في نطاق سهل وادي مارب الخصب وهو ، فوق ذلك ، غني بالثروة الحيوانية . أهم قراه : كينافينا (Kenafena) ، وعدي سفواوي (Adi Segwawi) . حتى العهد الايطالى ، كان هذا الاقليم يتألف من قرى ذات حكم ذاتي ، تتبع اكلي ـ غوزاي الواقعة عند حدودها . ولما جاء الايطاليون عهدوا بالاقليم الى الدجاش تيسفامريم ، من عدى خاله ، وهو الرئيس المفضل لديهم . وبعد موته ، أعيد الاقليم الى نظام القرى ذات الحكم الذاتي . وفي سنة ١٩٣٢ ، عينوا على الاقليم رئيسه الحالى الذي هو من عدي مونغونتي (Adi Mongonti) ، وينتسب الى احدى أقدم العائلات الاقطاعية . يتبع أهالى هذا الاقليم قانوناً عرفياً خاصاً بهم معروف باسم اواوا تسومرو (Awaa Toumro) لا يختلف عن مجموعة قوانين عد كيمه ـ ميليفا الاّ فيما يتعلق بشؤون الزواج .

ـ **دوبوب** (Dobub) : عدد سكانه ٥٠٠٠ ، تربطهم صلات النسب مع

أهالى اقليم غوهشا . أكثريتهم من الأقباط ، وتوجد ثلاث قرى يسكنها مسلمون جيبرتيون واساورته . هذا الاقليم غني بالاراضي الزراعية . أهم قراه : دامباميش (مقر الرئاسة) (Damba Mich) ، عدي يكيامو (Adikkiamo) ، عدي هاي (Adi Hai) . وكان هذا الاقليم موزعا في الاصل ـ شأن إقليم غوهشا ـ على اقطاعات أقاليم أخرى ، وفي عام ١٩٣١ ، أصبح اقليماً ادارياً ، وعيّن له رئيس من أبنائه .

ـ **دقي ديقنا** (Dekki Digna) : يتحدر سكان هذا الاقليم من الاقليم الذي يحمل الاسم ذاته في اكلي ـ غوزاي . تزاوجوا مع جماعة عدكيمه ميليغا (Adkeme Melega) ، وأصبحوا جزءاً من سلالتهم . عددهم ١٢٠٠ نسمة ، كلهم من الاقباط . ويمتاز الاقليم بخصب تربته ، ولا توجد فيه سوى قرية كبيرة واحدة هي عدكي سيامتي (Addeki (Scienti . تاريخه شبيه بتاريخ غدهشا ودوبوب ، ورئيس دوبوب هو الذي يحكم أيضا دقي ديقنا .

ـ **دمبيلاس** (Dembelas) : يقع هذا الاقليم عند حدود اغوردات ، في زاوية البلاد الشمالية الغربية . الجافة والقاحلة . فقير بالاراضي الزراعية ولكنه غني بالثروة الحيوانية . يعمد سكان هذا الاقليم ، على غرار أهالى ليبان ، الى ممارسة الزراعة في أراضي اغوردات عبر الحدود ، ويدعون مثلهم حقوق الرستي على الأراضي التي يستثمرونها . عدد سكان الاقليم ٦٦٠٠ نسمة ، أكثريتهم من الاقباط مع أقلية مسلمة صغيرة من الاساورتة والجيبرتيين. أهم قراه : عدي تستسر (Adi Tsetser) (مقر الرئاسة) ، كينان كوبا ، ماي ميفاليس (Mai Mefalis) . وعلى فترات متقطعة خضع الاقليم لرئاسة بيت

عرزا ، في حين كان يسترد استقلاله في الفترات الاخرى ، على شكل قرى تتمتع بالحكم الذاتي . ولما جاء الايطاليون عينوا رئيس قرية ماي ميفاليس رئيساً على الاقليم بأكمله . ولكنه ثار على الحكم الايطالي فلوحق واضطر للهرب . وفي سنة ١٨٩٧ ، انتخب السكان رئيسا جديدا ، كرست الحكومة انتخابه ، ثم خلفه في منصبه ابنه الذي هو الرئيس الحالي للاقليم .

وكان الجزء من أراضي الاقليم الذي يضم قريةميسيام ، قد منح عام١٩٠٠ ، الحكم الذاتي . وكان سكان القرية من مسلمي التيجراي ، فارتؤي اعطاؤها شكل « مستوطنة » مسلمة ، ما لبثت ان استهوت العديد من مهاجري التيجراي الجدد ، بحيث أصبح عدد سكانها اليوم ٦٠٠ نسمة ، يمارسون الرعي ، مع الإشارة الى ان بعضهم يمارس الزراعة في أراضي آغوردات المجاورة .

ـ **قرى تتمتع بالحكم الذاتي** : توجد ست قرى تتمتع بالحكم الذاتي في مقامية عدي وقري (ADI UGRI) ، وهي صغيرة وقليلة الأهمية باستثناء غودي فيلاسي (Godefelasse) ، وعدي مونفونتي (Adi Mongonti) . وهما تدينان بأهميتهما لكونهما تابعتين لعائلتين اقطاعيتين ، كان لهما نفوذ وسيطرة في العهد الاثيوبي . فقرية غودي فيلاسي التي يبلغ عدد سكانها ١٦٠٠ نسمة هي قرية بارونات اندا اسغودوم (Enda Asgodom) ولكنها تضم ، بالاضافة اليهم ، الجماعة المتحدرة من أرقاء وعبيد هذه العائلة . وينتسب هؤلاء الى أصول مختلفة ، فبعضهم جاء من ميريتّه سيبنيه (Merettah Sebene). في اكلي ـ غوزاي ، وآخرون من التيجراي ، وغوندار ، ويشكلون كذلك خليطاً من المسلمين والاقباط . وأرض غودي فيلاسي غنية رغم صغر مساحتها . ولدى الغاء نظام الفولتي ، احتفظ السيد الاقطاعي السابق في القرية بمركز « شيكا » (شيخ) القرية . وقد خلفه في

هذا المنصب ابنه الذي خُلع بعد فترة وجيزة من تسلمه السلطة . وبعدئذ تبدل على زعامة القرية عدة رؤساء من أبنائها ، وأكثرهم كانوا جنوداً سابقين .

أما عدي مونفونتي ، وسكانها ٨٠٠ ـ جميعهم أقباط ـ فهي قرية بيت دجاش زيرا بروك (Zerabruk) الاقطاعي ، قريب اندا اسقودوم (Enda Asgodom) . وجاء ارقاء البيت وأتباعه من ولقايت (Wolkeit) في اثيوبيا ، ومن الحماسين وأنحاء اخرى في اريتريا . وهذه القرية غنية رغم صغر مساحة أراضيها . يتولى رئاستها حالياً من كانوا في السابق أسيادها الاقطاعيون .

وأما تيرأمني TERAMNI ـ سكانها ١٨٠٠ ـ فقد كانت اقطاعاً لقودي فيلاسي ويسكنها أتباع اندا اسقودوم ، وبينهم بعض المسلمين المتحدرين من سكان صنعفى (Senafe) . وأما تاكيتا ـ سكانها ٩٠٠ نسمة ـ ، وغويلا ـ سكانها ٣٠٠ نسمة ـ ، فكانتا اقطاعاً لعدي مونفونتي . وحتى سنة ١٩٣٢ كانت كل من القرى الثلاث تحت اشراف شيكا (شيخ) مستقل . وأما اليوم فهي موحدة تحت اشراف رئيس واحد . وأخيراً ، قرية عدي غوند (Adi Gonned) التي كانت قبل الحكم الايطالي ، اقطاعاً لزعماء عرزا . ويتألف سكانها الخمسمائة من مهاجرين غرباء ذوي أصول غامضة .

ج ـ أقاليم نيابة مقامية عدي خاله (Ardi Quala)

ـ **ماي تسأدا** (Mai Tsada) : كان هذا الاسم يشمل ، بالاصل ، ثلاثة مناطق تشكل اليوم أقاليم مستقلة هي : ماي تسادا الجديدة ، اندا ازماش AZMACH عقبيت ، ودقي بوكري . سكان هذه الاقاليم الثلاثة أقارب يتحدرون من عدي كيمه وميليفا . وقد أنشئ اقليم ماي تسادا الحالي في

العهد الايطالي ، وهو يشمل الأراضي المحيطة بعدي خاله سكانه أكثريتهم أقباط مع أقلية اسلامية ، وأقلية ضئيلة من الكاثوليك الاثيوبيين يبلغ عدد هؤلاء السكان ٦٧٠٠ نسمة ، يعيش حوالي ٢٠٠٠ منهم في عدي خاله ، القرية الكبيرة الوحيدة في الاقليم . يمتاز هذا الاقليم بأرضه البالغة الخصب وثروته الكبرى . في العهد الاثيوبي كانت عائلتان اقطاعيتان تتنازعان السيطرة على الاقليم ، وهما عائلة اندا جروريم (Enda Geremariam) وعائلة انداكاهسو (Enda Kahsu) . وكانت العائلة الاولى قد تمكنت من فرض سيطرتها على الاقليم ، ولذلك عندما بدأ الاحتلال الايطالي ، سارع زعيم العائلة المنافسة ليج تسفا مريم لإعلان ولائه للإيطاليين ، فكافأوه بمنحه لقب دجاش وتعيينه رئيساً للإقليم ، بينما اعتقلوا منافسه الموالي للاثيوبيين ، ونفوه الى عصب . وفيما بعد سمح الايطاليون للدجاش تسفامريم ، المقرب منهم ، بمد سلطانه على العديد من الاقاليم . وفي سنة ١٩١٩ ، خلفه في الزعامة ابنه الأكبر ، الدجاش هايله ، HAILE ، الذي حافظ على رئاسة ماي تسادا فقط . وقد عمدت السلطات البريطانية مؤخراً الى ابعاده الى نقفه ، بسبب اثارته للإضطرابات ونشاطه التحرري الوحدوي .

اندا ازماش عقبيت OGBIT : اقليم واسع الثروة ، سكانه حوالي ٣٠٠٠ نسمة . أهم قراه قرية غابرييت GABRIET . أكثرية سكانه تدين بالقبطية مع أقلية اسلامية . وكان هذا الاقليم يخضع للنظام الاقطاعي ويتبع للعائلات الاقطاعية التي تسلطت على ماي تسادا ، فيما كانت بعض العائلات المحلية النافذة تحاول منافستهم على السلطة من وقت لآخر . وابان الحكم الايطالي مُنح الاقليم للدجاش تسفامريم . وبعد موته خلفه ابنه الاصغر رئيساً لهذا الاقليم ، ولكنه خُلع من منصبه بعد فترة لسوء

ادارته ، وجرى استبداله برئيس جديد لا يزال في مركزه ، وهو جندي سابق من هارفي غروتو HARFI GROTTO ، غريب عن الاقليم .

مدري فيلاسي MEDRI FELASSI : اقليم صغير ، ولكنه بالغ الثراء ، يضم خمس قرى ، وعدد سكانه حوالي ٩٠٠ نسمة ، جميعهم من الاقباط . وكان هذا الاقليم ، شأن مدري فيلاسي الآخر في عرزا ، يتبع أساساً لممتلكات دير « دبرا مرقوس » . وفي عهد الحكم الايطالي تمّ إلحاقه بممتلكات دجاش تسفا مريم ، وهو حالياً بعهدة شقيقه .

دقي بوكري DEKKI BOKRI : اقليم آخر صغير وغني ، سكانه ١٨٠٠ ، معظمهم من الاقباط ، يعيشون في قرى صغيرة ، كانت تتمتع بالحكم الذاتي قبل الحكم الايطالي . وعشية الاحتلال الايطالي ، قام أحد أبناء الاقليم : وهو من أقارب هازيغا في حماسين ونصّب نفسه باروناً اقطاعياً لدقي بوكري . ولما قدم الايطاليون سارع وأعلن خضوعه لهم ، ولكن ذلك لم يمنع رجلهم الاول الديجاش تسفامريم ، من خلعه من مركزه . وبعد موت تسفامريم ، سمح لدقي بوقري ان يحكمها واحد من أبنائها ، تحت رقابة الابن الأكبر لتسفامريم . وبقيت هذه الرقابة الى ما قبيل الاحتلال البريطاني ، حيث سمح للاقليم بادارة شؤونه بنفسه .

ـ **قوحايين** Kohain : اقليم جبلي ، واسع المساحة ، يعيش فيه ١٢ ألفاً من السكان ، ونجد في وادي نهر عوبل (Obel) الواقع في شمال الاقليم ، العديد من الرعاة المسلمين البدو ، والاساورته من اكلي ـ غوزاي الى جانب مجموعات تتكلم التيجري قدمت من الساحل . أما في الوسط والجنوب

فنجد مجموعات قبطية متحدرة من ميليفا ، تتوزع على عدة قرى أهمها : عدي شومبيت تومبوزا (Adi Shunbet Tombosa) (مقر الرئاسة) ، وسيباوو (Sebawo) ، ودبره (Debre) ، وعدي كاتينا . أما الأقسام الجبلية من الاقليم فهي جرداء ، بينما الاودية خصبة وتشكل مراعٍ غنية ، والى حد ما ، أراض صالحة للزراعة . وكان من شأن بُعد هذا الاقليم الحدودي عن قلب البلاد الاداري ، والنقص في الطرقات ، ان بقي دون مستوى التطور الذي عرفته سائر المناطق . وفي هذا الاقليم اثنان من الاديرة القبطية الهامة هما : دير دبرا مريم الذي فقد سلطان الماضي بعد افتقاره ، ودير دبرا دحوحان (Dehuhan) الذي لا يزال غنيا وشهرته تتعدى الحدود . يتوزع شعب قوحايين على أربع مجموعات « اندا » واسعة . وكانت ثلاث منها ، قبل الاحتلال الايطالي ، قد انقسمت الى مجتمعات قروية ذات حكم ذاتي . أما الاندا الرابعة ، وهي اندا غانزاي (Ganzai) ، فلها رئيس منتخب ، يسمى شوموندي ـ وتعني حرفياً : رئيس الاخوان ، أي الاقارب ـ وفي سنة ١٨٩٦ سلّم الايطاليون حكم قوحايين الى الديجاش تسفامريم ، الامر الذي ترك أثراً سيئا عند الناس الذين ساءهم ان يحكمهم غريب عنهم . وبعد موت تسفامريم ، أعيدت الأمور الى وضعها السابق . وفي سنة ١٩٢٥ عرف الاقليم تجربة الاندابا ، التي فشلت هنا أيضاً . وفي عام ١٩٢٩ عيَّن الايطاليون رئيساً للاقليم هو ابن شقيق آخر شوموندي حكم اندا غانزاي .

عايلا AILA : اقليم صغير مجاور لقوحايين ، يضم ست قرى فقط ، وعدد سكانه ١١٠٠ نسمة ، أكثريتهم من الاقباط ، مع أقلية ضئيلة من المسلمين الجيبرتيين . يقع هذا الاقليم في سهل مارب ، أرضه خصبة ،

ولكن ليس بمستوى « التربة السوداء » القريبة منه في الداخل . وكان هذا الاقليم في الاصل جزءاً من قوحايين ، وُضع أيام الحكم الايطالي تحت سلطة دجاش تسفامريم . وبعد وفاته ضُم الى غوندت GUNDET وأصبح خاضعاً لرئيسه .

غوندت : عدد سكانه ٣٢٠٠ ، جاؤوا من سوروخسو SOROKHSO في عكامي AGAME ، يدينون بالقبطية ، ويتوزعون على قرى صغيرة . والمستوطنة الكبيرة الوحيدة فيه هي اندا كرن KEREN مقر الرئاسة . ثروة الاقليم في أراضيه الزراعية ومواشيه ، كما هي الحال في عايلا . في الماضي كان غوندت إقطاعة لاحدى عائلات ماراغوزMARAGUZ النافذة . وقد تمكن أحد أبنائها ، المرتبط بقرابة زواج مع الامبراطور يوحنا ، أن يحصل على الاستقلال لإقليمه برئاسته . وعندما جاء الايطاليون ثبتوه في منصبه ، ولكنهم أعطوه رتبة نيابة رئيس وأخضعوه لرئاسة الدجاش تسفامريم . وبعد وفاة الأخير ، استعاد نائب رئيس غوندت ـ ضمت اليها عايلا ـ كامل سلطته ، ولكنه اتهم ، بعد ذلك بقليل ، بالتواطؤ مع لصوص ومتمردين اثيوبيين ، فخُلع من منصبه ، ووُضع الاقليمان تحت سلطة دجاش مانفيشا من عرزا وفي سنة ١٩٣٦ ، عيّن على الاقليمين رئيس جديد من عدي خاله ، أصله من التيجراي ، وينتمي الى واحدة من عائلات الارقاء والجنود التي خدمت الاقطاعيين في المنطقة .

٨ ـ أكلي ـ غوازي

أ ـ الأرض والشعب

يبلغ عدد سكان اكلي ـ غوزاي حوالي ١١٥ ألفاً ، وهم خليط عرقي أكثر تنوعاً مما هو عليه في المديريتين الاخريين في الهضبة . فنحن هنا أمام تجمعين عنصريين وحضاريين متميزين : في الغرب ، العنصر الذي يتكلم التجرينية ، ويدين بالقبطية ويمارس حياة الحضر . وفي الشرق القبائل التي تتكلم الساهو ، وتدين بالإسلام ، وتمارس حياة البداوة . وتفرّق داخلياً فيما بين المجموعات التي تتكلم التيجرينيا الادعاءَات حول الروابط العرقية ، والإنتماءَات السلالية . وكما في أي مكان آخر من هذه البلاد المتعددة العناصر ، فتقاليد النسب هنا هي شبه اسطورية ، وفي كثير من الاحيان متناقضة ، ولكنها بقية حية وفعّالة في تصويب العلاقات الاجتماعية . ولكنه من الصعب ايجاد ادعاءَات انتماء عنصري أو سلالي تتناقض مع الثقافة او الحضارة شبه المتناسقة التي تتميز بها المجتمعات التي تتكلم التيجرينيا . ولا تظهر هذه الفوارق بوضوح ، الا في اطار القوانين العرفية .

ووفقاً للتقاليد الشائعة يرتبط أقباط اكلي ـ غوزاي عرفياً ، هم أيضاً ، بالشقيقين الأبوين الأولين : شالوك ومالوك . أما الجد الثالث فالوك فليس له مكان في شجرة نسب أبناء اكلي ـ غوزاي . ويوضح التقليد أن يكون اكلي

وغوزاي المتحدرين من شالوك ، قد أنجبا سكان البلاد التي تحمل اسميهما اليوم . أما أبناء مالوك ، فقد شكلوا مجموعة منفصلة ، أصغر عدداً ، اقتصر تواجدها على اقليمين عرفا باسم « ميره تاه » MERETTAH . وقد انضم الى هؤلاء السكان الأصليين وأنسبائهم مهاجرون جاؤوا من نواح غير معروفة ـ بعضهم يقول من الاساورته ـ وهم يتحدرون من شخصين معروفين باسم : إيناي ENAI ولوغاي LOGAL. ولم يكن هؤلاء ، القادمون الوحيدون الى المنطقة ، فهناك مجموعة كبيرة اخرى من المهاجرين معروفة باسم إيغيلا EGGELA ، يقال انها جاءت من عقامي في التيجراي ، واستقرت في الغرب والشمال الغربي من المديرية . ولا تزال أسماء بعض الاقاليم اليوم تعكس توزيع تجمعات النسب هذه في المنطقة . وعلى هذا نجد اقليماً اسمه « ولده كيله » WOLDEKKELE أي « أبناء أكيله » . ونجد آخر اسمه « لوغو ساردا » أي « لوغاي العظيم » ـ لا بد من ملاحظة الفارق في تفسير كلمة لوغو ، بين حماسين واكلى ـ غوزاي ـ . ويحمل اقليما إيجيلا حامس HAMES ، وايجيلا هاتسين EGGELA HATSIN أسم عائلة ايجيلا العريقة . إلاّ أن هذا التمييز المحلي بين أبناء العشيرة الواحدة الاساسيين لم يعد صحيحاً اليوم ، لأن المجموعات المختلفة لا تزال تبدو ، الى حد ما كما سنرى ، متجمعة في بعض النواحي والاقاليم .

يقسم اكلى ـ غوزاي إداريا الى مقاميتين ونيابة مقامية واحدة تحمل اسم أهم مدنها وهي : عدي قيح ADI CAIEH ، سقنيتي SAGANEITI ، صنعفي SENAFE . وكان يوجد نيابة مقامية ثانية اسمها آرافالي ، الغيت قبل الاحتلال البريطاني الذي لم يعدها ثانية من الحياة . وكان انشاء مختلف المقاميات عملاً مصطنعاً ، بررته أسباب ادارية . وقد رافق انشاءها ،

نقل أقاليم من واحدة الى أخرى ، وتوزيع قبائل ومجموعات تربطها صلات النسب الواحد بين مقامية وأخرى .

أما تقسيم البلاد الى منطقة منظمة على أسس اقليمية ، واخرى تدار على اساس التجمعات القبلية ، فله مغزى كبير . فهنا نلتقي بتلك الازدواجية الادارية التي أشرنا اليها في المقدمة ، والتي تعكس التعايش بين مجموعات حضرية مستقرة ، وقبائل بدوية .

ب ـ أقاليم مقامية عدي قيح ADI CAIEH

زيباونتي ZEBAONTI : يبلغ عدد سكان هذا الإقليم ٣٦٠٠ نسمة ، بما فيهم سكان مدينة عدي قيح الاصليين والبالغ عددهم ١٩٠٠ نسمة . وينسب سكان زيباونتي أنفسهم الى الجد غوزاي . والاقليم غني بالاراضي الزراعية ، ويمتد شرقاً الى هضبة قوحايتو KOHAITO ، حيث يقوم العديد من الاساورته ومجموعات صغيرة من المنقري بأعمالهم الزراعية . وباستثناء هؤلاء « الضيوف » المسلمين ، يدين سكان الاقليم بالقبطية . وأهم قرى الاقليم : توكوندا TOKONDA وميناه MENAH ، هما من المستوطنات القديمة . والاولى هي العاصمة التقليدية للاقليم . وقد خضع الاقليم لحكم سلالة من الرؤساء الوراثيين ، كانوا يجمعون بين مراكزهم الرئاسية ، ومنصب جابي الضرائب الامبراطورية المسمى « فره زينيا » . أما الرئيس الحالي للاقليم فهو حفيد آخر « فره زينيا » على المنطقة . ويتبع شعب زيباونتي ، شأن كافة المجموعات المتحدرة من اكلى ـ غوزاي ، مجموعة القوانين العرفية المعروفة باسم « ميم ميهازا » .

أما عدي قيح ADI CAIEH عدي غاير ADI GHAIER

باللهجة المحلية ـ فقد كانت أصلاً قرية صغيرة ، وتحوّلت سنة ١٨٩٢ الى مركز اداري ومدينة حديثة . وفقدت توكوندا TOKONDA بعد ذلك أهميتها الأولى ، على الرغم من انها استمرت المقر الرسمي للرئيس . وشأن سائر المدن ، تضم عدي قيح ، مجموعة متنوعة من السكان الاقباط الشرقيين والكاثوليك والمسلمين الجبريتيين ، والاساورته ، وعرب اليمن وحضرموت .

آريت ARET : هو الاقليم الذي يضم أكبر عدد من السكان ـ ٥٣٠٠ ـ بين أقاليم مديرية اكلى ـ غوزاي . يمتد هذا الاقليم فوق الهضبة والجبال ، حتى الجنوب الشرقي من عدي قيح . أرضه فقيرة وصخرية ، مع وجود بعض المراعي الخصبة . ينتمي أبناء آريت الى سلالة غوزاي . وفي المنطقة الجبلية في الشرق نلتقي بمجموعات من الاساورته يجمعون بين حياة الرعي والبداوة ، وحياة الاستقرار والحضر والزراعة . تدين أكثرية السكان بالقبطية ، وتوجد أقليات صغيرة من الاقباط الكاثوليك موزعة على بعض القرى . أما أهم مستوطنات الاقليم فهي : حلاي HALAI (مقر الرئاسة) ، حديش عدي HADDISH ADI ، درع DERAA ، اوهان AVHABE . ولقرية حلاي أهمية تاريخية ، فقد زارها عام ١٧٧٢ ، « بروس » أحد أوائل الرحالة البريطانيين الى أثيوبيا . وكانت عام ١٨٩٤ ، مسرحاً لمعركة بين الايطاليين وجيش ديجاش باهتا حقوس الثائر ، هزم فيها باهتا حقوس ولقي مصرعه . أما آريت فهو اقليم قديم ، عرف لفترة طويلة بحكم سلالة تقليدية ، وكان الايطاليون قد خلعوا آخر حكام السلالة ، وخفضوا رتبته الى « وجيه » بدون منصب ، وعينوا مكانه الرئيس الحالي ، وهو جندي سابق ، من أبناء آريت ، لم يكن لديه أي ادعاء تقليدي بالمركز .

- **دقي زيرسني** (Dekki Zeressenei) : اقليم صغير وفقير ، لا يضم سوى سبع قرى ، ولا يتجاوز عدد سكانه ١١٠٠ نسمة ، جميعهم من الاقباط ، يرتبطون بصلات النسب مع أهالي زيباونتي (Zebaonti) . فقر تربتهم يجبرهم على الهجرة الموسمية الى سهل هذامو (Hazomo) ، جنوب غربي المديرية . كان هذا الاقليم مستقلاً في الأساس ، ولكنه اختار طوعاً زعامة رئيس اقليم زيباونتي ، والاتحاد مع ذلك الاقليم ، قبل الاحتلال الايطالي لأريتريا بقليل . ويمكن اعتبار دقي زيرسني مهد مجموعة قوانين اكلي ـ غوزاي العرفية ، المعروفة باسم « ميم ميهازا » ، وقد أخذت اسمها من أحد الجداول (نهر صغير) الموجودة في الاقليم ، والذي يقال ان كبار اكلي ـ غوزاي كانوا يجلسون على ضفافه ، على شكل محكمة ، وينطقون بالاحكام تحت ظليل أشجاره ، فطوروا هكذا قوانين البلاد .

- **دقي تيهيشتا** Dekki Tihishta : أصغر من الاقليم السابق ، فيه ٣ قرى ، سكانه ٤٥٠ نسمة ، يرتبطون هم أيضاً بصلات النسب مع سكان زيباونتي . وينتمي هؤلاء السكان ـ جميعهم أقباط ـ الى التجمع العرقي المرتبط بإيناي الاسطوري . وكانت قرى هذا الاقليم تتبع ، في الاصل ، اقليم هداديم شالو (Haddadim Chalo) ثم أُلحقت سنة ١٨٩٦ بأقليم زيباونتي . أراضي الاقليم ضيقة ولكنها خصبة ، ومتكافئة مع حجم سكانه .

دريشن DERICHEN عدد سكانه ٢٧٠٠ ، يمثلون فرعي نسب غوزاي وايناي . أهم قرى الاقليم هي : تيجرن TEGEREN (مقر الرئاسة) ، دقي ليفاي LEFAI ، ماعيزجي MAAIZGI . ويدين سكانه بالقبطية . تقع أراضي الاقليم على جزء قاحل ورملي من الهضبة ،

ولكنها تصل حتى سهل هزمو الخصب . ودريشن اقليم قديم ، تحكمه سلالة وراثية من الرؤساء ، لا تزال في الحكم حتى اليوم .

دجيان DEGIEN : عدد سكانه ١٨٠٠ ، جميعهم من الاقباط ، يتحدرون من فرع إيناي . أهم قراه : بيت سيماتي SEMATHI ، وابعا ABAA . أراضيه قاحلة ، ولكن سكانه يسعون وراء الأراضي الزراعية في سهل هزمو المجاور . وعلى الرغم من كيانه القديم كاقليم ، لم يكن دجيان يتمتع بادارة ذاتية ، في ظل الحكم الاثيوبي ، بل كان يشكل جزءًا من أراضي ديري بيزن واندا ابوليبانوس . وفي عهد الامبراطور يوحنا ، الغيت الأراضي الكنسيّة ، وعيّن أحد أبناء الاقليم رئيساً له . وبعد موته ـ اي بعد مجيُ الايطاليين ـ مات المركز معه . واديرت شؤون الاقليم على أساس قرى تتمتع بالحكم الذاتي . وفي سنة ١٩٣٢ ، الحق دجيان بإقليم هداديم شالو المجاور ، ووضع تحت اشراف رئيسه .

هداديم شالو HADDADIM CHALO : سكانه ٢٦٠٠ نسمة جميعهم من الاقباط ، يرتبطون بصلات القرابة مع أهالي دجيان . امتداد أراضيه حتى الجزء الشمالي من سهل هزمو ، جعل الاقليم غنياً بالأراضي الزراعية ، لا يوجد فيه سوى قرية كبيرة واحدة هي اونا عندوم ONA ANDOM . وكان هناك اعتقاد سائد بأن هداديم شالو اقليم مستقل ، لكن الحقيقة انه ، قبل العهد الأيطالي ، كان محكوماً من قبل رؤساء الاقليم المجاور متشع Metshe وفي عام ١٨٩٦ ، أصبح هداديم شالو اقليماً متمتعاً بالحكم الذاتي له رئيسه الخاص . وفي عام ١٩٢٠ ، نشبت ثورة في الاقليم ضد الرئيس ، فاضطرت الحكومة للتدخل ، وخلعت الرئيس ، وأديرت شؤون الاقليم بواسطة أحد

الوجهاء لمدة ١٢ سنة . وفي سنة ١٩٣٢ ارتؤي من جديد ، ان الاقليم يستحق ان يكون له حاكم خاص به ، وعينوا له رئيساً ، سبق له العمل في الادارة . وهو رجل قدير ، لكنه غريب عن الاقليم ، اضافة الى كونه الكاثوليكي الوحيد في هداديم شالو ، وهو لا يزال يدير شؤون الاقليم حتى الآن .

متشع Mets'he : عدد سكانه ٤٥٠٠ نسمة ، ينتمون الى فروع من الغوزاي . أرضه قاحلة وفقيرة ، ولكن أبناءه يملكون هم أيضاً ، أراض زراعية في اقليم هداديم شالو الأكثر خصباً ، وفي سهل هزمو . أهم قراه كعاتيت COATIT ، امباكواكوات KWAKWAT ، بيركيتو ، BIRKITO عدي كويتا ADI KWITA (مقر الرئاسة) . ولقرية كعاتيت تاريخ جدير بالرواية ، ففيها حقق الجنرال الايطالي باراتياري انتصاره على جيش راس منقشا سنة ١٨٩٥ ، محتفظاً بإريتريا لإيطاليا . وخلال الحرب الايطالية الاثيوبية ، أقام الماريشال الإيطالي ده بونو ، مقر أركان حربه في كعاتيت . وبقيت هذه القرية ، أثناء الحكم الايطالي مقراً لحامية عسكرية ، وسوقاً تجارية هامة ومركزاً لاحدى الارساليات . ولكنها تحولت اليوم الى قرية لا أهمية لها ، لا يتجاوز عدد سكانها ٦٠٠ نسمة . يدين أكثرية أهالي الاقليم بالقبطية ، مع أقلية صغيرة كاثوليكية في قرية بيركيتو BIRKITO ، وجماعة من الجيبرتيين المسلمين الذين جاؤوا الى كعاتيت منذ زمن بعيد . وكان اقليم متشع قد خضع ، لفترة طويلة ، لحكم سلالة وراثية انطفأت سنة ١٨٩٢ ، وبقي الاقليم بدون رئيس ، تدار شؤونه على أساس نظام القرى ذات الحكم الذاتي . وفي عام ١٩٣٢ ، عيّن للاقليم رئيسه الحالي ، المرتبط بالقرابة مع السلالة التي كانت تحكم الاقليم في السابق ، وهو جندي سابق ورجل قدير .

ايجيلا هاتسين : ينتمي سكانه الى تلك المجموعة العرقية التي تطلق على نفسها اسم ايجيلا ، وتعيد جذورها الى التيجراي . وتعتمد الايجيلا قانوناً عرفياً خاصاً اسمه « غورزو تسوبولو » GORZO TSOBOLO ، خلافاً للاقاليم المذكورة سابقاً التي تعتمد قانون ميم ميهازا ، ولا توجد سوى فوارق ضئيلة بين القانونين . يبلغ عدد سكان الاقليم ٢٨٠٠ نسمة كلهم من الاقباط . أراضي ايجيلا التي تضم الجزء الغربي من هزمو (Hazomo) ، واسعة وغنية بالأراضي الزراعية والمرعى . ولذلك تجلب كل سنة الى الاقليم ، أعداداً كبيرة من الرعاة البدو ، القادمين من جبال الاساورته ، والسهل الساحلي ، وبلاد بني عامر من جهة ، ومن مزارعي الاقاليم الأكثر فقراً في اكلي ـ غوزاي من جهة ثانية . أهم قرى الاقليم : مبريت (Mebret) (مقر الرئاسة) ، وكالاي بالتيت (Kalai Baltit) ، وسراي (Serae) . وكان هذا الاقليم في ظل الحكم الاثيوبي ، وحتى الايطالي ، يخضع لسلطة زعماء وراثيين . وفي سنة ١٩١٥ ، ألغت الحكومة الايطالية نظام الرئاسة ، واستبدلت ادارة الاقاليم ، بنظام القرى ذات الحكم الذاتي . وبعد ثلاث سنوات ، تقرر التخلي عن هذه التجربة ، وتمّ توحيد ايجيلا مع اقليم ميريتا سيبينه (Merettah Sebbene) (ملحق حالياً بمقامية سقنيتي) . وفي سنة ١٩٣٩ ، أعلن ايجيلا هاتسين من جديد اقليماً مستقلاً ، وعين له رئيس هو جندي سابق لم تكن له أية حقوق تقليدية في المنصب والذي لا يزال يشغله الى الآن .

ج ـ أقاليم مقامية سقنيتي :

ـ **تسينا ديغله** (Tsenadegle) : عدد سكانه ٤٥٠٠ نسمة ، وهم فرع

من مجموعة تسكن « الولدكيله » (Woldekkele) ، الاقليم الغني بالثروة الحيوانية والمفتقر الى الأراضي الزراعية . ولهذا ينزح سكانه سنويا للزراعة في أراضي التاج في دماس باقليم قندع . أهم قرى الاقليم : اكرور ، هبو (Hebo) ، دغراليبه (Degra-Libe) ، سقنيتي ، عاصمة المقامية . أما سقنيتي فمدينة صغيرة ، عدد سكانها الأصليين حوالي ٣٦٠٠ ، وهي مستوطنة قديمة وسوق ، تحولت الى مركز اداري وموقع عسكري هام ، في ظل الحكم الايطالي . ينتمي أكثرية سكانها الى الكنيسة القبطية الكاثوليكية . وكان أبونا يعقوب ، مؤسس هذه الكنيسة قد وجد الأرض الأكثر خصباً لدعوته في هذه المنطقة . وقد دفن أبونا يعقوب ، كما سبق ذكره ، في كنيسة هبو ، القرية التي غرست فيها الكاثوليكية القبطية أصلب جذورها . ويدين بقية السكان بالقبطية الشرقية ، مع تواجد بعض المسلمين الجيبرتيين في سقنيتي . لا توجد في تسينا ديفله زعامة تقليدية . في العهد الاثيوبي ، كانت قرى الاقليم تخضع لسلطة فره زينيا (ferresenya) ، يعينهم حاكم التيجراي . وقبل حلول الايطاليين بفترة وجيزة ، قام أحد أبناء بهتا حقوس (Bahta Hagos) ، بفرض نفسه حاكماً للاقليم ، وانضم الى القوات الايطالية ضد امبراطور أثيوبيا ، لكنه ما لبث أن انقلب على حلفائه وأسياده ، فهزم وقتل في احدى المعارك . وقد عينت الحكومة رئيساً مكانه ممن سبقت لهم الخدمة في الجيش الايطالي . ولا تزال عائلة هذا الرئيس في المنصب بشخص فرع ذريتها الثالث .

ـ **حدقتي** (Haddegti) : يشكل أهل هذه المنطقة فرعاً ثالثاً « لابناء اكلى » وهي اقليم صغير لا يتجاوز عدد سكانه ١٤٠٠ نسمة . يضم اقليم حدقتي بعض الأراضي الخصبة ، لكنها غير كافية لحاجات السكان ،

فيضطروا هم الى ممارسة الزراعة في سهل دماس للتعويض عن هذا النقص . أهم مستوطناته : معربه (Maraba) (مقر الرئاسة) ، وعبى عبور (Abi Abur) الاولى قبطية شرقية ، والثانية قبطية كاثوليكية . يحكم الاقليم رئيس يحمل احدى أعلى الرتب في البلاد : « دجاش بل ناغاريت » اي « دجاش الطبول » . اسمه تسيما اسبيروم (Tesemma asberom) ، ويتحدر من احدى أقدم عائلات الزعامة في اريتريا . وكان الرؤساء من هذه العائلة ، يمثلون أيضاً منصب الفره زينيا . وقد حافظت هذه العائلة على سلطانها ، بل وسّعته في عهد الحكم الايطالي ، مُضيفة الى ممتلكاتها الأساسية ، حكم العديد من الاقاليم الاخرى .

ـ **ايجيلا حامس** (Eggela Hames) : أكثرية السكان ـ عددهم ٢٢٠٠ ـ يدينون كلهم تقريباً بالقبطية ويتحدرون من إيجيلا عقامي وفي الاقليم قريتان يسكنهما مهاجرون من سور خسو (Sorokhso) التابعة لعقامي أيضاً . أراضي الاقليم واسعة وخصبة . أهم قراه : قرع (Gura) ، زيبان (Zeban) سراو (Serrau) ، واينادوكو (Enadoko) . قبل العهد الايطالي ، كانت المنطقة المعروفة باسم ايجيلا ، تضم ما يعرف اليوم بأقاليم ايجيلا حامس ، وروبرا (Robra) ، ودقي آدموغوم (Dekki Admokhom) . كان هذا الاقليم مقسماً على قرى تتمتع بالحكم الذاتي على أن تستمر في دفع الجزية الى ولد اكلي حدقتي ، وتخضع لمجموعة قوانينه العرفية المعروفة باسم ميم ميهازا . وعبر تاريخ مضطرب مليْ بالتمرد والصراعات الاقطاعية الدموية ، حصل اقليم ايجيلا حامس على استقلاله السياسي وتخلى ، في الوقت نفسه ، عن قوانين أسياده . وبعد سلسلة من التطورات التاريخية اعتمد مجموعة قوانين سُميت « ماي أدقي »(MAI ADGI)

وكان رؤساء « ولد اكلي » يتسلمون شارة السلطة على يد مندوبي الوصي الامبراطوري . وقبل مجيء الايطاليين بفترة وجيزة استولى على مركز الرئاسة ، شخصان نافذان ، تولى احدهما على ايجيلا حامس وروبرا ، والآخر على دقي ادموغوم . وعندما جاء الايطاليون أعلنوا ايجيلا حامس اقليماً مستقلاً . ولما أثبت الرؤساء المحليون الذين عهد اليهم بالحكم عدم جدارة ، أضيف اقليم إيجيلا حامس في سنة ١٩٢٧ ، الى ممتلكات الدجاش تيسيما اسبيروم ، من حدقتي ، وحاكم الاقليم الحالي هو ابنه البكر .

روبرا : يقع هذا الاقليم في سهل قرع الخصيب ، ولا يزال غنياً بالأراضي الزراعية بالرغم مما فقده من أراض من جراء الاستملاكات التي تمت سنة ١٩٣٥ من أجل بناء مطار وأشغال كابروني ، في قرع . يبلغ عدد سكان الاقليم ٢٦٠٠ نسمة جميعهم تقريباً من الاقباط ، يتحدرون من ايجيلا وسائر أنحاء التيجراي . أهم قراه : توكول ، ووتو WUTTO ، ماي حوذا MAI HOZA (التي أصيبت أكثر من سواها بالإستملاكات) ، عدى نيفاس ، غوديتي . لإقليم روبرا تاريخ مماثل لتاريخ اقليم ايجيلا حامس ، كما ان الاقليمين يطبقان قانوناً عرفياً واحداً . وكان أول رئيس عينه الايطاليون للاقليم ، رجلاً من أبناء الاقليم ، ولكنه أساء استخدام مركزه فكرهه الناس ، وكان مديناً بتعيينه للخدمات التي قدمها للإيطاليين أثناء تمرد بهتاحقوس . وقد خلع من منصبه سنة ١٩٢٩ ، بعد سلسلة من أعمال العنف والتمرد ضده ، ووضع الاقليم ، على الاثر ، تحت سلطة عائلة الدجاش تسيما ، وهواليوم ، شأن ايجيلا حامس ، بادارة ابن تسيما البكر .

دقي ادموغوم : اقليم غني آخر ، يقع في سهل قرع الخصيب . عدد سكانه

٢٢٠٠ ، جميعهم من الاقباط ، يتحدرون من ايجيلا ، ويطبقون قانون ايجيلا . أهم قراه : امهور ، دنجل DENGEL ، أراتو ، اوله لرو . AWLE LERU ويقوم فيه دير قديم وشهير ، وان كان لا يملك سوى مساحات قليلة من الأراضي ، هو دير اندا سيلاسي . تاريخ هذا الاقليم في الاصل هو تاريخ ايجيلا حامس . والرجل الذي استولى على الحكم في الاقليم ، قبيل الاحتلال الايطالي ، كرّسه الايطاليون في منصبه ، ولكنه قتل ، بعد حين ، على يد واحد من جماعته . وبقي الاقليم بدون رئيس ، يساس على أساس قرى ذات حكم ذاتي ، حتى سنة ١٩٢٩ ، عندما أصبح دقي ادموغوم ، الاقليم الرابع الذي يوضع تحت سلطة بيت اسبيروم .

دقي جبري : اقليم غني جداً بالأراضي ، عدد سكانه ٢٦٠٠ نسمة ، جميعهم من الاقباط . أهم مستوطناته : كوربا ريا KORBARIA (مركز الرئاسة) ، توارت ، عدي راسي ADIRASSI . ويعني اسم كوزباريا « هضبة العبيد » لأن التقليد يريد أن يجعل من سكان هذه القرية ، أحفاداً لعبيد جاؤوا اليها من قندر . الا انه يوجد فروع اخرى من السكان تدّعي النسب مع الإيجيلا EGGELA . كما يطبق السكان هنا قانون ايجيلا العرفي . قبل الحكم الايطالي ، كان الاقليم من ممتلكات احدى السلالات الرئاسية التي قُتل آخر ممثليها على يد أحد أقاربه . وبعد فترة قضاها الاقليم تحت حكم رئيس غير كفؤ ، عينته الحكومة الايطالية ، أُلحق الاقليم بأنفانا (التابعة الآن للحماسين) سنة ١٩٣١ ، ووضع تحت سلطة رئيسها الدجاش بخرو . وفي سنة ١٩٣٧ ، بعد موت بخرو ، جرى فصل الاقليمين ، وتسلم ابن بخرو رئاسة اقليم دقي جبري .

مرتا قيح MERETTAH KAIEH : عدد سكانه ٢٣٠٠ نسمة ،

جميعهم من الاقباط ، يدّعون التحدر من الجد الاسطوري فالوك . يملكون أراض شاسعة وخصبة . أهم قراه : غوغوات GOGWATT ، جرجره ، GERGERA عدي نيفاس ADI NEFAS ، فكيه FEKIEH .
كان هذا الاقليم يتكوّن ، في الأساس ، من مجموعة قرى تتمتع بالحكم الذاتي ، وفي عهد الحكم الايطالي أصبح اقليماً موضوعاً تحت سلطة بخرو ، دجاش انغانا ، ثم وضع تحت سلطة رئيسه الحالي الذي اختاره الايطاليون من بين الجنود السابقين رغم قلة براعته وضعف شخصيته . يطبق الاقليم قانون عرف خاص به هو تسادا حامت .

ميريتا سبنه SEBENE : يقارب عدد سكانه ٦٠٠٠ نسمة تربطهم صلات قرابة مع سكان اقليم ميريتا الآخر ، مع انهم يطبقون قانون اكلي ـ غوزاي العرفي . أراضي الاقليم واسعة وخصبة . أهم مستوطناته : حاليبو HALIBO (مقر الرئاسة) ، ماي احا حديدا MAI AHA HADIDAH امبيتو EMBEITO . سكانه من الاقباط بينهم أقلية كاثوليكية . وكان هذا الاقليم ، شأن شقيقه اقليم ميرتا قيح ، يتكوّن من مجموعة قرى ذات حكم ذاتي . ثم عيّن الايطاليون لادارة الاقليم جندياً سابقاً ، نقل المنصب الى ابنه الذي لا يزال يحكم الاقليم الى اليوم .

تدرر TEDRER : تضم أراضي هذا الاقليم الجزء الشمالي من سهل هزمو ، وهو أحد أغنى أقاليم اكلي ـ غوزاي . عدد سكانه ٣٠٠٠ ، كلهم أقباط ، يعيدون أصلهم الى مجموعة غريبة الأصل ، هي فرع النايب من بللو مصوّع ، الذي سبق الحديث عنه في فصل سابق . وكان سكان تدرر مسلمين في الأصل ، لكنهم ، حسب الرواية ، تحوّلوا الى القبطية المسيحية ، على

يد مؤسس دير اندا يوحنس الشهير ، الذي ضربه الفقر حالياً . ولم يبق اليوم من فوارق ثقافية بين تدرر وبقية اكلي ـ غوزاي ، الا القانون المستقل الذي يتبعه الاقليم ، والمسمى على اسم أجداد مجموعة سكانه : سلستي دقي درار SELESTE DEKKI DERAR ، اي « أبناء درار الثلاثة » .

ويتكوّن الاقليم من عدة قرى أهمها : عدي نبري (مقر الرئاسة) ، جنيسبا GENISEBA عدي موكادا ، حديش عدي HADISH ADI حاتنات HATENAT . وكانت سلالة رؤسائه الوراثيين قد انقطعت أيام الحكم الايطالي . وعندها تم تعيين الرئيس الحالي الذي هو أحد أشقاء تسيما ، وجاش حدقتي ، وهو غريب عن الاقليم ، يرتبط ، عن طريق الزواج ، مع عائلة الرئيس السابق .

دقي ديغنا DEKKI DIGNA : اقليم صغير وفقير ، سكانه حوالي ١٨٠٠ نسمة ، ينتسبون الى « ولد اكلي » وهم خليط من الاقباط والكاثوليك . يوجد في الاقليم قريتان فقط : ديغسا ، وعدي حديت . آخر ممثلي سلالة الرؤساء الوراثيين ، الذين كانوا يحكمون الاقليم ، هو حالياً رئيس قرية ديغسا . أما الاقليم نفسه فقد أُلحق باقليم تسينادغله المجاور .

د ـ أقاليم نيابة مقامية صنعفى

زبان : يدّعي سكان هذا الاقليم البالغ عددهم ٢٣٠٠ نسمة ، أنهم يتحدرون من الجد غوزاي . جميعهم تقريباً من الاقباط ، باستثناء قرية تضم عدداً قليلاً من الكاثوليك . وزبان هو أحد الاقاليم الحدودية ، في اكلي ـ غوزاي ، ويشكّل جزءاً من المنطقة المعروفة باسم شيمزانا SHIMEZANA ،

والتي تضم أيضاً ، أقاليم عدي غولتي ، واندا داشيم ، واقليم آغروف التوأم . تمتاز أراضي زبان بخصبها على ضيق رقعتها . أهم قراه : زيغفت ZIGFET (مقر الرئاسة) آحفيسي AHFESSI وهي سوق هام وعدي امبارا وارومو وهي مركز حدودي قديم . وزبان اقليم قديم تحكمه عائلة وراثية ، كانت سلطتها تمتد ، في السابق ، الى مناطق أوسع . أما القانون الذي يعمل به في زبان فهو قانون ميم محازا .

دجيان ووجيرا DEGIEN WOGERA : يقال ان سكانه يتحدرون من الامهرا ، وان كان التزاوج قد ربطهم بالقرابة مع المجموعات المجاورة . في الاقليم ثلاث قرى فقط أهمها : مطرا . أراضي الاقليم خصبة وواسعة ، وتزيد عن حاجة سكانها البالغ عددهم حوالي ٨٠٠ نسمة ، يدينون بالقبطية . ومطرا هي مركز « اللايك كاهنات » الذي هو وكيل مطران اريتريا القبطي . كان هذا الاقليم اقطاعاً تابعاً لدير دبرادامو الاثيوبي ، القائم قرب حدود اقليم اكران الأرتري . وعندما أقدم الحكم الايطالي على علمنة أراضي الكنيسة ، منح الاقليم الى والد الرئيس الحالي المنتمي الى سلالة زبان الرئاسية .

صنعفي SENAFE : يقال ان هذا الاسم يعني « الذين جاؤوا من صنعاء » ، وفيه اشارة الى ان مهاجرين اليمن كانوا أول من وصل الى المنطقة واستقر فيها . وكانت الأرض ، عند قدومهم ، ملكاً لجماعة حزو GAASU ومنفري البدوية ، ولجماعة أخرى غامضة الاصول تسمى زرفتاي ZEREFTAI ، منتشرة اليوم بكثرة في اكلي - غوزاي . وقد حصل المهاجرون ، عبر التزاوج مع الحزو على حقوق في الأرض ، أقاموا فوقها قريتين ، لا تزالان قائمتين الى اليوم . هما : اولى AWLE ،

حجايلي HAHAILE . والمعروف انه كان لشعب صنعفي ، حتى في أيام الأمبراطور يوحنا ، رئيساً وراثياً ، هو الذي أرشد جيش نابير الى مقدلا (نابير هو قائد الحملة الانكليزية ضد الامبراطور تيودور عام ١٨٦٨ ، استولى على مقدلا ، وأسر أبناء الامبراطور : المترجم) . وبعد انقراض هذه السلالة ، جاءت عائلة أخرى الى الحكم ، لا تزال تحكم بشخص ممثل سلالتها الثالثة . هذا الاقليم صغير المساحة ، وجميع سكانه الـ ٨٥٠ من المسلمين . يعيش ثلثاهم في حي من أحياء مدينة صنعفي ، التي أنشئت سنة ١٩٠٢ كمعسكر لحماية الحدود ، وسوق اقليمية .

عدي غولتي : اقليم بالغ الخصب ، سكانه ٢٢٠٠ نسمة ، من عناصر مختلفة ، يتحدرون من أحد فروع غوزاي ، ومن مستوطنين عرباً في صنعفي ، ومن مهاجرين من التيجراي . أكثريتهم من الاقباط . أما الأقلية المسلمة الجيبرتية ، فقد أعطت الاقليم رؤساءه الوراثيين . أهم مستوطناته : باراكيت BARAKIT (مقر الرئاسة) بيحات BIHAT ، عدي عطال ADDI ATAL ، اغري ماندا EGRI MANDA .

اندا داشيم DASHIM : يقع هذا الاقليم في وادي نهر اندا داشيم الخصيب . عدد سكانه حوالي ٣٠٠٠ نسمة ، يدّعون التحدر من غوزاي ، ويعيشون في قرى باركنا BARAKNA (مقر الرئاسة) ، وعدرهو Adderho ، وكودادو Kodadu . تتولى رئاسة الاقليم احدى عائلات الزعامة الوراثية .

كولونيا كاثوليكيا : تأسست هذه « المستعمرة » سنة ١٨٩٤ ، لإيواء مجموعات الاقباط الكاثوليك الذين أبعدتهم الاضطهادات الدينية عن مسقط رأسهم في

عقامي الاثيوبية . لا يتجاوز عدد سكان المستعمرة عن ٧٠٠ نسمة ، بمن فيهم بعض المسلمين والاقباط الذين يقيمون « كضيوف » في المستعمرة الكاثوليكية . أما الأرض التي أقيمت عليها المستعمرة ، فقد كانت تابعة لإقليمي زبان وانداداشيم . وعلى الرغم من خصب أراضي الإقليم وغناها ، فإن سكانه لم يتنازلوا عن حقوقهم في الأراضي الرستي التي كانوا يملكونها في عقامي . لا يوجد في الاقليم سوى قرية واحدة كبيرة : مونوكسيتو MONOXEITO التي هي مقر الكنيسة ، ومقر رئيس الاقليم المتحدر من العائلة التي كانت تحكم أهالي « المستعمرة » في موطنهم الاول . ويدخل ضمن الاقليم قريتان تتمتعان بالحكم الذاتي ، هما كولت وغرانا GRANA ، الواقعتان شرقي « كولونيا » عند الحدود الاثيوبية . ويقيم في هاتين القريتين ، جماعات ذات أصول أثيوبية وغازو ، كانوا في الأساس من البدو ، ثم تحوّلوا الى حياة الحضر أيام الحكم الايطالي .

دبار اسلام DEBBAR ISLAM : هي قرية تتمتع بالحكم الذاتي ، تقع على تلة شمالي أكران ، وتمتد أراضيها القاحلة غرباً ، الى الحدود الاثيوبية . يبلغ عدد سكانها ٢٥٠ نسمة من الجيبرتيين المسلمين . وكان هؤلاء السكان قد أجبروا على اعتناق المسيحية القبطية على عهد الامبراطور يوحنا ، ولكنهم عادوا الى معتقدهم الاصلي ، في العهد الايطالي . وفي هذا العهد مُنحت « دبار اسلام » التي تعني « تلة المسلمين » حق الحكم الذاتي ، وعيّن لها رئيس خاص . وكانت أراضي القرية تابعة لدير اندا ابوليبانوس ، في العهد الاثيوبي .

أكران : اقليم حدودي ، يعيش فيه جماعة متحدرون من اكلى ، عددهم

٢٧٠٠ نسمة ، يدينون بالقبطية . أرض أكران قاحلة وضيّقة . أهم قراه : مشعل MES'hal ، هاديت عدي HADIT ADI ، عدي شوهو ، SHOHO عدي عرباتيا ARbeita (مركز حدودي ومقر الرئاسة) . حتى العهد الايطالي ، كان رؤساء اكران الوراثيون ، يحكمون أيضاً اقليمي زريموسي ZERI MOSSI وولد اكلي . وفيما بعد ، فصلت الاقاليم الثلاثة ، وفقدت سلالة اكران مركزها في الحاكمية الشاملة ، وفي الوقت نفسه رئاستها الاقليمية ، حيث عيّن الايطاليون ، لرئاسة اكران ، رجلاً جديداً ، نقل السلطة الى ابنه الذي لا يزال حاكماً للاقليم .

زريموسي : عدد سكانه حوالي ١٠٠٠ نسمة ، تربطهم صلات القرابة مع سكان أكران ، وهم أقباط مثلهم . تمتد أراضي الاقليم فوق منحدرات صخرية شاهقة ، وأخاديد عميقة ، وهي قاحلة على اتساعها ، مما يضطر العديد من أبناء الاقليم الى ممارسة الزراعة في سهل هزمو ، غربي اكران . في الاقليم قريتان كبيرتان فقط هما : أسيتا ASSETHA ، كيشاهات KESHAHAT . رئيس زريموسي الحالي ، هو ابن أول رئيس على الاقليم ، عينه الايطاليون بعد اعلان استقلالية زريموسي .

وولد اكلي مشعل : اقليم كبير ومهم (عدد سكانه ٤٢٠٠) وهو مسقط رأس « أبناء اكلي » . سكانه أقباط شرقيون باستثناء رئيسه فهو قبطي كاثوليكي ، وعدد قليل من المسلمين المتحدرين من منغري . اقليم غني ، على الرغم من انه خسر أكثرية أراضيه الخصبة في الاستملاكات التي حصلت سنة ١٩٣٥ ، لبناء مطار صنعفي . قرى الاقليم الكبيرة عديدة : مشعل ، ديبديب DIBDIB آدي رفاي REFAI ، ماي تسادا ، امبا بداهان BEDAHAN .

كان هذا الاقليم يشكّل ، في الأساس ، أحد الاقاليم الخاضعة لرؤساء اكران ، ولكنه حصل على استقلاله الذاتي أيام الحكم الايطالي . ولما انضم أول رؤسائه الى قوات بهتا حقوس المتمردة ، خلع من منصبه ، وخلفه رئيسان حققا نجاحاً نسبياً ، أما الرابع ، الذي هو الرئيس الحالي ، فقد أثبت براعة وهيبة . وهو يتحدر من فرع سنعدقلي TSENADEGLE في ولد اكلى ، والشيئ الغريب انه ينتمي الى عائلة الزعيم الثائر بهتاحقوس .

امبست جليبا AMBESET GELEBA : عدد سكانه ٢٥٠٠ ، وهم خليط من مجموعات متحدرة من التيجراي ومن أحد الفروع التي تربطها صلات قرابة مع سكان اندا داشيم . يدينون بالقبطية . ويوجد في الاقليم دير اندا ابوليبانوس الشهير ، والذي كان يتمتع ، في وقت من الاوقات ، بسلطة واسعة . أرض الاقليم فقيرة ، وقراه قليلة أهمها : جليبا ، هام ، HAM احزا ، AHEZ وعرجن AREGEN . وكان الاقليم ، حتى سنة ١٨٩٦ ، يتبع الدير ، وبالرغم من أنه تمّ الغاء الاقطاعات الكنسيّة في تلك السنة ، فقد بقي هذا الاقليم خاضعاً لسلطة رئيس الدير حتى سنة **١٩٢٩** ، عندما عيّن للإقليم رئيسه الحالي الذي هو جندي سابق .

لوغو ساردا : سبق وتحدثنا عن أصول شعب هذا الاقليم . عدد سكانه قليل ـ ١٥٠٠ ـ مع ان أراضيه التي تضم الجزء الجنوبي من سل هزمو ، HAZOMO ، غنية وشاسعة . ولذلك يستقبل هذا الاقليم ، شأن سائر أقاليم سهل هزمو ، سنوياً ، العديد من الزوار من رعاة ومزارعين يأتون من مناطق أكثر فقراً . أهم قراه : ساردا ، منداف كوما MENDAF KOMA ميرارا MERARA ، سوكوم SUKUM . وحتى

فترة وجيزة ، كان الاقليم بإدارة سلالة رؤساء وراثيين . وقد جرى إبعاد آخر ممثلي هذه السلالة الوراثية ، لعدم كفاءته ، واستبدل بالرئيس الحالي ، وهو رجل كفوء ، متحدر من اللوغو ، وسبقت له الخدمة في الجيش . يطبق اقليم لوغو ساردا قانون ميم ميهازا .

اغروف : هناك ثلاثة أقاليم تحمل هذا الاسم هي : لعالاي (الاعلى) اغروف ، وتحتاي (التحتاني أو الادنى) اغروف الاول ، وتحتاي اغروف الثاني . ويضم هذا الأخير ، منطقتين منفصلتين ، تقعان شرقي لعلاي اغروف وغربيه . هذه الاقاليم الثلاثة صغيرة وغنية نسبياً بالأراضي الزراعية . يدين سكانها بالقبطية ، اقليم لعالاي اغروف أصبح مستقلاً منذ فترة طويلة ، ويتحدر رئيسه الحالى من عائلة مستمرة في المنصب منذ ثلاثة عهود ، وأما شعبه فمتحدر من أحد فروع الغوزاي ، ويبلغ عدده ١٨٠٠ نسمة . أهم قراه : شيفا CEFA ، مقايح MEKAIEH . أما اقليما تحتاي اغروف ، فكانا يشكلان ، أساساً ، اقليماً واحداً . يعيش فيهما مجموعات متحدرة من الغوزاي والحزو . وقد بقي اقليم تحتاي اغروف القديم ، تحت حكم رؤساء وراثيين ، حتى سنة ١٨٩٦ ، حيث خاض آخر رؤسائه معركة عدوى الى جانب الاثيوبيين ، فعزل عن منصبه ، وقسّم الاقليم ، كما هو عليه اليوم . وجرى إلحاق تحتاي اغروف الثاني ، وهو الاكبر ، بإندا داشيم . قراه : سغوورو SEGWORO ، عدي هيشو ، HISHO كسات امبا . أما تحتاي اغروف الاول ، وهو الأصغر ـ فيه ٣٦٠ نسمة وقريتان ـ فقد عهد برئاسته ـ في جو عدالة شرعية تقريباً ـ الى جندي حارب في عدوى الى جانب الايطاليين .

هـ ـ القبائل :

سبق لنا وأشرنا الى القبائل الثلاث ـ اساورتا ، منغري ، حزو ـ التي تتنقل بين ساحل البحر الاحمر والجبال الشرقية في اكلى ـ غوزاي . تتكلم هذه القبائل لغة مشتركة ، وان يكن بلهجات فيها بعض الفوارق البسيطة ، هي لغة الساهو القريبة من لغة الدناكلة . وهذه القبائل تدين بالاسلام ، ما عدا أحد فروع منغري . ولها قانون قبلي خاص بكل منها ، يختلف اختلافاً جوهرياً عن قانون الاقاليم القبطية . تتواجد هذه القبائل في مناطق متجاورة في مواقعها سواء في الساحل أم في الجبال . فالاساورتا يتواجدون بين نهري حداس وسالما ، بينما تقع منطقة منغري الى الجنوب والشرق من هذا الخط ، يحدها في الشرق التلال السفحية التي تلف بسهل وانغابو ، WANGABO وفي الجنوب السفح الجنوبي لجبل سويرا SOIRA ونهر دانديرو DANDERO الاعلى . وأما الحزو فيعيشون إلى الشرق والجنوب أيضاً ، عند نهري اندلي ENDELI ورنداكومو ، RENDA KOMO وحتى حدود سهل الدناكل . وتتحرك موسمياً مجموعات من الاساورتا المنغري ، عبر الهضبة ، الى مراعي اكلى ـ غوزاي والسراي المنخفضة . كما ان بعضهم استقر بين سكان المرتفعات المسيحيين .

واذا استثنينا هذه الفروع المنفصلة ، يمكننا القول ان الحدود ، بين القبائل المسلمة ، وسكان الهضبة المسيحيين ، تتبع قمم الجبال باتجاه غربي نهر حداس ، وتمتد جنوباً ، عبر الهضبة المقرونة باسم قوحايتو ، باتجاه صنعفي ، والامتداد الغربي لجبل سويــرا . وعلى طول هذه الحدود ، يحدث « التشابك » بين الادارة الاقليمية والادارة القبلية . فالتجمعات المسيحية تدّعي حقوقاً قديمة على الأرض ، تصل الى وادي حداس ، وتشمل كل هضبة

قوحايتو ، وحتى سهل صنعفي ، وتعتبر ان سلطة زعمائها ، تمتد حتى هذه الحدود التقليدية . وهكذا تكون فروع من الاساورتا ، والمنغري تعيش بصفة « ضيوف » على أراضي الزعماء المسيحيين . وتكون النتيجة ازدواجية القوانين ، ففي كل الخلافات المتعلقة بوضعهم كضيوف ـ أكانت حول الأراضي الزراعية أم المراعي ـ لا بد لرجال القبائل من الخضوع لسلطة الزعماء الاقليميين ، في حين تعود كل الخلافات ، التي قد تقع داخل القبيلة ، الى سلطة زعيم القبيلة .

ـ **الاساورته** : يبلغ تعداد أفرادها ٢٧ ألفاً تقريباً . وهم في أكثريتهم من الجنوب العربي ، قدموا الى اريتريا ، مع موجات الهجرة الاولى ، التي ربما تكون قد حدثت في مطلع العصور الميلادية . وتشير التقاليد القبلية الى هذا الأصل للاساورته ، ولكنها ، فيما عدا ذلك ، لا توضح شيئاً .

وشأن العديد من القبائل المتواجدة في هذه البلاد المتعددة العناصر ، الاساورتا عبارة عن نواة اولى ـ حامية الاصل ـ تجمعت حولها مجموعات غريبة ، وارتبطت بها ، ثم اعتمدت لغتها وثقافتها . ولم يترتب على هذه الفوارق في الانتماء العنصري ، أية امتيازات ظبقية ، غير ان الفوارق بقيت واضحة في الكيان القبلي . فمن أصل فروعها الاحد عشر ، ستة فقط معروفة كأساورتا ، والخمسة الباقية كتجمعات منتسبة .

أما فروع الاساورتا فهي : فقرت عرى (Forgot Are) ، بيت ليليش (Beit Lelish) ، عساكري (Assakeri) ، عسليسان (Assalisan) ، بيت فاغي (Beit Fakhi) وسارماره انغاجه (Sarmare Engage)

وأما الفروع المنتسبة فهي : حسابات عرى ـ (Hassabata Are)

اده (IDDA) ـ بيرادوتا (Beradotta) ـ رزاماره (Rezamare)
ـ طروعا بيت سرح (Tarowa Beit-Sarra)

وكان الاساورته ، في الأساس ، عبدة الاصنام ، وهم لا يزالون يذكرون ذلك ، ويرشدون الزائرين الى أماكن عبادتهم السابقة هذه ، على جبل فاروم المقدس . أما اليوم ، فقد أصبحوا من المسلمين الثابتين في اسلامهم . ثروة القبيلة هي في ما تملك من أبقار ـ أغنام ـ ماعز .... وتتبع نزوحاتها الموسمية مخططا دورياً تحدده الحاجة الى المرعى ، ونفور أبناء القبيلة ـ وهم جبليون أكثر مما هم سهليون ـ من حر السهل . ففي موسم الامطار في السهل الذي يمتد من تشرين ثانٍ (نوفمبر) الى نيسان (ابريل) ، يقيم الاساورتا في السهل غربي خليج زولا . وينتقلون في الفترة ما بين ايار (مايو) وتموز (يوليو) الى التلال السفحية ، والى الحافة الغربية من الهضبة الوسطى التي تشهد ، في مثل هذا الوقت من السنة ، حياة نباتية ناشطة . وفي موسم الامطار الداخلية الذي يلي ، تنتقل القبيلة الى الهضبة نفسها . وأثناء اقامتهم على التلال ، يعمد بعض أبناء القبيلة الى ممارسة الزراعة ، حيث يزرعون الذرة والدخن وغيرهما من المزروعات السريعة النضج . فيما تعمد مجموعات أخرى من الاساورتا ، الى ممارسة أنواع اخرى من الزراعة الأكثر استمرارية . ويشكّل هؤلاء « المستأجرين والضيوف » الذين سبق الحديث عنهم . ولعشر أو خمس عشرة سنة خلت ، بدأت بعض المجموعات الصغيرة من الأساورتا ممارسة الزراعة على ضفاف نهر حداس ، يروون مزروعاتهم من مياه النهر بواسطة القنوات والسدود البدائية . وقد أخذ هذا التطور من حياة البدو الرعاة الى حياة المزارعين المستقرين ، يتزايد ـ وكان قد بدا ذلك واضحاً في ماضي القبيلة القريب ـ

في المستوطنات الزراعية التي قامت خلال ال ٢٥ سنة الماضية . ومن شأن هذه الظاهرة ، ان تخلق في المستقبل مشكلة معقدة ، بين قبيلة لديها نهم الى الأرض ، وبين أبناء الهضبة الذين يملكون هذه الأرض .

مستوطنات الاساورتا صغيرة ، تتألف من أكواخ بدائية ، مصنوعة من الخشب غير المثبت بإحكام ، ومن أشباه خيم صغيرة . هذه المستوطنات مؤقتة على غرار أكواخها ، ولا نجد المنازل ذات الصفة الدائمة المصنوعة من الحجارة والقش ، الا في الجبال ، وفي فروع القبيلة الأكثر استقراراً وتحضراً . هذا ، وقد اعتمد الاساورتا ، حيث تغلغلوا في المنطقة الهضبية ، طراز المنزل الحبشي القديم ذي السقف المسطّح .

يقوم الهيكل الاجتماعي للقبيلة على أسس القرابة والنسب وهم ينظرون الى الفروع القبلية ـ باستثناء الفروع المنتسبة ـ على انها تتحدر من جد مشترك . وتعرف هذه الفروع باسم « كيشو » (Kisho) او « عارى » (بيت) (Are) ويتوزع كل فرع قبلي الى عدة تجمعات قرابة او « ديك » (DIK) تحمل عادة أسماء مؤسسي خط النسب . ولا تشكل تجمعات النسب هذه بالضرورة تجمعات محلية ، بالرغم من ان عبارة « ديك » تستعمل كذلك للدلالة على مجموعة محلية متعددة النسب . ويتواجد كل فرع قبلي ، عادة ، في مناطق محددة ، يرعى فيها أبناؤه مواشيهم ، ويقيمون مخيماتهم الموسمية . ولا وجود عندهم لنظام حقوق صارمة وأبدية في ملكية الأرض . ويجري توزيع الأراضي القبلية على مختلف الأقسام القبلية بالتراضي .

وقد حرص الاساورتا ، في العهد الاثيوبي ، على الاحتفاظ باستقلاليتهم القبلية التي كانت تتضمن حرية غزو أقاليم الهضبة وفرض الرسوم ، بقوة السلاح ، على القبائل العابرة من الداخل . وحتى بعد الاحتلال الايطالي ،

حافظت القبيلة ، لعدة سنوات ، على شبه استقلال ذاتي ، فلم تفرض عليها الا رقابة ضعيفة ، وجزية اسمية . وفي التنظيم الاداري للقبيلة ، اعتبرت الفروع القبلية بمثابة وحدات تتمتع بالحكم الذاتي ، فيما كانت الادارة القبلية بيد الرؤساء المنتخبين لهذه الفروع ، المعروفين باسم « شوم » (shum). وبقي الشوم زعيماً للفرع القبلي ، ويتبعه رؤساء تجمعات القرابة المعروفين باسم « نبرا » (Nabara) . وفي سنة ١٩٣٥ ، وحّد الحكم الايطالي القبيلة كلها تحت رئاسة زعيم أعلى ، أطلق عليه لقب « بك » في بادئ الأمر ، و « باشا » فيما بعد . وبالرغم من ان هذا المركز ليس تقليدياً وراثياً ، فإن الزعيم الحالي للأساورتا ـ وهو أول زعيم أعلى عيّن للقبيلة ـ له بعض الطموح في الزعامة ، لأنه في الفرع الاعلى للقبيلة ، ويدّعي التحدر مباشرة من الجد الاول للقبيلة .

ـ **منفري** (Miniferi) : تعد هذه القبيلة حوالي ١٠ الآف نسمة ، وتنتسب الى العنصر الذي منه الاساورتا . ولكن ، يُقال ان منفري ، كانوا من الاقباط قبل أن يختاروا الاسلام لبضعة عقود خلت . وفروع منفري القليلة التي تقيم في جبل سويرا (soira) ، كمزارعين متحضرين ، ما زالت على معتقدها المسيحي القبطي . أما فيما يتعلق بنمط عيش القبيلة ، وخاصة تحوّلها التدريجي من الاقتصاد الرعوي الى الاقتصاد الريفي ، فينطبق عليه ما سبق قوله عن الاساورتا .

وفي أقصى الجنوب من خليج زولا ، ظهرت قرية كبيرة ، هي قرية ارافلي (Arafali) ، التي لم تكن مجرد مخلوق اصطناعي ، في الأساس ، بالرغم من انها سوق ومركز اداري وسياسي وبريدي ، وذلك لانها قامت على مقربة من الآبار الغنية التي تجذب ، في فصل الشتاء ، القطعان من مسافات

بعيدة . ففي تلك الفترة من السنة ، تلتقي في ارافلي مجموعة من تجار مصوّع وزولا وحتى اليمن . وفي ما تبقى من السنة ، تبقى الاكواخ القصبية في ارافلي شبه فارغة .

ينقسم منفري الى أربعة أقسام قبلية هي : قعسو (GAASU) ، وفقيه حركى (Fekat-Harak) ، ودسمو (Dassamo) ، ودناغول (Danagul) . وتدّعي الأقسام الثلاثة الاولى التحدر من جد القبيلة . أما القسم الرابع ، فهو فريق « منتسب » من أصل غريب . ويتوزع الحزو وفقيه حراكي على تجمعات نسب ، بينما لا يوجد مثل هذا التوزيع للرسمو والدناغول لصغر حجمهما . وأما التنظيم الاداري لهذه القبيلة فيشبه ، الى حد بعيد ، تنظيم الاساورته ، مع العلم ان المنفري انتظموا تحت زعامة موحدة قبل الاساورته بكثير ـ عام ١٩٠٢ ـ وبما ان المنفري (ضعف من الاساورتا ، فقد كانوا أقل انسياقاً منهم وراء أعمال السلب ، فاعتبروا أكثر استعداداً لتقبل الاصلاحات الادارية . وأول زعيم تولى شؤون القبيلة ، كان قاضي القبيلة ، وهو رجل علم وشهرة . أما الثاني ، الذي هو زعيمها الحالي ، فلم تكن عنده أية مطالبة وراثية بالسلطة بل هو مدين بترقيته من رئيس قسم قبلي الى زعيم القبيلة الاعلى ، الى نشاطه وذكائه .

ـ **حزو** (Hazu) : قبيلة صغيرة ، لا يزيد عدد أفرادها عن أربعة آلاف . وقد بقوا على مستوى أكثر بدائية ، من سائر القبائل الشقيقة ، لتواجد مواقعها في الجبال الوعرة ووديان الانهر ، بعيداً عن المدن والطرقات ، وتأثير الهضبة المسيحية . وخلافاً للاساورتا المنفري ، لم يمارس الحزو أي نوع من الزراعة . وفي نزوحاتهم الموسمية ، يتحركون ضمن دائرة ضيقة ، بين الساحل والتلال الداخلية . وتقتصر اتصالاتهم مع « الخارج » على أعدائهم

الدناكل ، وأثيوبي ايروب الذين عليهم أن يدافعوا عن حدودهم اليوم ـ كما فعلوا منذ أجيال ـ ضد غزواتهم .

تنقسم القبيلة الى عشرة أقسام قبلية ، بعضها يُعتبر فروعاً سلالية من نسب واحد ، وبعضها يوصف بانه مجموعات منتسبة . ويقع كل قسم تحت زعامة شوم ، وتخضع القبيلة كلها لزعيم أعلى ، رتبته الوراثية هي « اونا » . (ONA) والحزو هي القبيلة الوحيدة ، بين قبائل الساهو الثلاث ، التي لها زعامة قبلية تقليدية .

ـ **دبريميلا** (Debrimela) : قبيلة رابعة ، صغيرة جدا ، لا يصل عدد أفرادها الى الالف ، تتواجد جنوبي اكلي ـ غوزاي ، على جبلين يشكلان الحدود الفاصلة بين المجموعات المسيحية والمجموعات الاسلامية . وتنقسم قبيلة الدبريميلا الى قسمين : العدس (ALADES) على جبل الامبادبرا (Amba Debra) ، والابالحة (LABALHE) على جبل سويرا . كلاهما يمارس الزراعة ، الى حد بعيد ، وحياة الحضر . لذا سهل تنظيم شؤون القبيلة . في اطار ادارة اقليمية . يرعى شؤون كل فرع من فرعيها رئيس خاص . يدين العدس بالاسلام ويتكلمون الساهو فيما يدين الابالحة بالقبطية ، ويتكلمون الساهو والتجرينية معاً . أصل هذه القبيلة غامض ، غموض الفارق الديني ، في تجمع قبلي يدّعي وحدة النسب : هل هو نتيجة تحوّل شعب مسيحي بالاساس الى الاسلام ، أم الى عملية عكسية ؟؟ هذا السؤال لا يجد جوابه حتى في القبيلة نفسها .

إحصاءات : (الأرقام تقديرية)

آ ـ مجموعات حضرية وبدوية

	اغوردات	كرن	مصوّع	حماسين	سراي	اكلي غوزاي	عصب
حضرية :	٤٤٠٠٠	٧٠٠٠٠	٤٥٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	١٢١٠٠٠	٨٥٠٠٠	٣٠٠٠
بدوية :	٦٢٠٠٠	٦٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٩٠٠٠	٢٠٠٠	٢٩٠٠٠	٥٠٠٠
المجموع :	١٠٦٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٧٥٠٠٠	٢٠٩٠٠٠	١٢٣٠٠٠	١١٤٠٠٠	٨٠٠٠

ب ـ اللغات

	اغوردات	كرن	مصوّع	حماسين	سراي	اكلي غوزاي	عصب
تجرينيا :	٤٠٠٠	١٠٠٠٠	٣٠٠٠	١٧٠٠٠٠	١١٤٠٠٠	٨١٠٠٠	–
تجري :	٤٣٠٠٠	٩٠٠٠٠	٢٨٠٠٠	٥٠٠٠	٢٠٠٠	–	–
بجّة :	٢٥٠٠٠	١٠٠٠	–	–	–	–	–
بلين :	–	٢١٠٠٠	–	٣٠٠٠	٣٠٠	–	–
ساهو :	–	–	٦٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠	٣١٠٠٠	–
دنكلي :	–	–	٢٠٠٠٠	–	–	٥٠٠	٧٣٠٠
عربية :	١٠٠٠٠	٦٠٠٠	١٥٠٠٠	١٣٠٠٠	٧٠٠	١٠٠٠	٥٠٠
غيرها :	٣٠٠٠٠	٢٠٠٠	٨٠٠٠	١٣٠٠٠	–	–	٢٠٠

ج ـ الديانات

	اغوردات	كرن	مصوّع	حماسين	سراي	اكلي غوزاي	عصب
أقباط	٤٠٠٠	١٤٠٠٠	٢٠٠٠	١٧١٠٠٠	١٠٧٠٠٠	٧٢٠٠٠	–
مسلمون	٨٦٠٠٠	١١٠٠٠٠	٧٣٠٠٠	٣٢٠٠٠	١٤٠٠٠	٣٦٠٠٠	٨٠٠٠
كاثوليك اثيوبيون	–	٤٠٠	–	٢٠٠٠	٥٠٠	٦٤٠٠	–
كاثوليك ارسالية	٣٠٠	٥٠٠٠	–	–	–	–	–
بروتستانت ارسالية	٣٠٠	١١٠٠	–	٣٠٠٠	١٠٠٠	–	–
وثنيون	١٦٠٠٠	–	–	–	٥٠٠	–	–

فهرس

دار المسيرة

للصحافة والطباعة والنشر

بيروت

برقياً : تلمسيرات - ص . ب . ١٩٥٢٩٩

هاتف : ٣١٥٦٢٨ سجل تجاري : ٣٣٩٠٨

الثمن ٦ ليرات لبنانية او ما يعادلها